منشورات مكتبة النجاح - النجف

الدروس الأخلاقية

تأليف

العلامة المغفور له الشيخ جعفر نقدي

الطبعة الثانية

طبع على نفقة

مرتضى الرضوي الكشميري

مطبعة النعمان

١٣٧٤ هـ

منشورات مكتبة النجاح - النجف

٥

الدروس الأخلاقية

بقلم

العلامة المغفور له الشيخ

جعفر نقدي

طبع على نفقة

مرتضى الرضوي الكشميري

مطبعة النعمان - النجف

١٣٧٤ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الكريم الخلاق والصلاة والسلام على نبيه المصطفى سيد البشر على الاطلاق القائل « وقوله الحق » بعثت لأتمم مكارم الاخلاق ، وآله الذين هم للاخلاق الفاضلة مفهوم ومصداق ؛ « وبعد » فهذه دروس أخلاقية كتبتها في أوقات الفراغ عسى أن انتفع بها وينتفع بها اخواني الكرام الذين يهمهم تكميل انفسهم ، وأسأل المولى جل شأنه أن يجعلنا ممن سمع الحكمة فوعاها ، ونظر الى الصالحات فعمل بها ورأى المنكرات فاجتنب منها فانه أرحم الراحمين ؟

جعفر نقدي

الدين والأخلاق

إن الأديان السماوية التي جاءت لهداية البشر على ألسنة الأنبياء والمرسلين من مدبر الكائنات اتفقت جميعاً على محافظة الأخلاق ، وبينت للناس فوائد الفاضلة منها ومضار الفاسدة سيما الدين الإسلامي الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فإنك لا تكاد ترى سورة من سور القرآن المجيد ولا صحيفة من صفحات أحاديث النبي الهادي (ص) إلا ورأيت نيرات الوصايا تسطع عليك أنوارها ، وتعني لك أشعتها لهدايتك إلى الأخلاق الفاضلة والأخذ بيدك عن الصفات الرذيلة لتكون إنساناً كاملاً تمت فيه معنى الإنسانية ، وبشراً سوياً لا ينقص منه شيء من مصداق البشرية ، وتلك نعمة أنعم الله بها على النوع الإنساني الذي شرفه على غيره من بين جنسه يجب شكرها على من عقلها (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها)

يقول نبينا العربي الكريم في حديث متسالم عليه وعلى صحته لدى عموم فرق الإسلام . (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) جعل (ص) إتمام مكارم الأخلاق علة وغاية لبعثته المقدسة وطولها تنبيهاً للمؤمنين من أن دينه المبارك مجموعة أحكام وتعليمات ، الغاية المقصودة منها والضالة المنشودة فيها مكارم الأخلاق ، وفي هذا الحديث دلالة ظاهرة من أن الأديان التي جاءت قبل دينه القويم لم تكن تتمم فيها الأخلاق الكريمة ، وأعني تلك الأديان الأديان المنسوخة لا الممسوخة ، وأما الممسوخة فالأخلاق الفاضلة كانت مفقودة فيها بالمرة ، وما نراه من اتصاف بعض الشعوب غير الإسلامية

بشيء منها فهو مقتبس من الاسلام وذلك غير خفي على كل من نظر في تاريخ الامم نظره بسيطه .

الاخلاق ملكات للنفس ولكن لا يمكن التوصل اليها إلا من طريق الدين لأنه يأمر بالعمل ، والعمل يوجـــــد الملكة ولأنه الزاجر الغيبي والرقيب السري ولا يكفي الآخذ بها أن يعرف الانسان الحسن والقبيح العقليين وهو بلادين لأن المعرفة المجرده لا توجد الملكة ولأن من لا يخشى مسيطراً عليه ماذا يمنعه من ارتكاب القبيح اذا حكمت عليه نفسه الامارة بالسوء مع معرفة كونه قبيحاً ، واجتناب الحسن كذلك مع معرفة كونه حسنا .

النفوس ميالة إلى شهواتها تواقة الى لذاتها ، فاذا لم تقيـد بقيود الاخلاق ولم تربط بأوامر الكمالات خرجت من اوج انسانيتها الى حضيض البهيمية تقتل وتنهب وتجرىء وتسلب وتخون وتكذب الى غيـــر ذلك من الموبقات ، وهذه القيود لا يمكنها أن تقيد النفس إلا من طريق الدين لحكمه الباطني عليها بخلاف غيره فان النفس لا تطيعه إلا في الظاهر ومتى سنحت لها الفرص عادت الى ما نهيت عنه طرحا للقيود والاغلال ، ألا ترى أن الصائم مثلا في ايام الصيف يشتد حرصه الى الماء في مكان لا يطلع عليه احد إلا الله تعالى فيتركه وما ذلك الا لدينه المسيطر على قلبه ووجدانه ، ولا ننس قول يوسف الصديق « ع » (رب السجن أحب إلي مما تدعونني اليه) .

الاخلاق هي الصفات النفسية التي جاءت بها فطرة الله التي فطر الناس

عليها ، من حاد عنها فقد حاد عن الفطرة الالهية ، ومن أخذ بها أخذ بتلك الفطرة المقدسة .

الاخلاق سلسلة كمالات تتوقف عليها الحياة الاجتماعية ولا تتم إلا بها السعادة الابدية ، من حافظ عليها فقد حافظ على شرفه ومجده ، هي الوسيلة العظمى لرقي الامة وهي السبب الوحيد لنجاحها ، بها ينتشر العدل وعليها يدور الامن وفيها تتجسم الانسانيـــة ومنها تطير الحسنات واليها مآل المفاخر .

لم تنجح امة من الامم في معترك حياتها ولم تر ملة من الملل بلوغ غاياتها إلا في التمسك بالاخلاق ، كما أنه ما من دولة من الدول إنهد ركنها وثل عرش سلطانها وما من قوم دهمت شوكتهم وآلت الى الضعف قوتهم إلا بتركها ، واجلى شواهد التاريخ هم الرومانيون الذين ملكوا العالم ودوخوا الامم يوم كانت الاخلاق تملكهم وملكتهم الابدى وحل بهم الذل والصغار يوم صاروا عبيداً لنفوسهم وارقاء لشهواتهم .

أنا لا انكر أن للمحيط الذي ينشأ فيه الانسان والبيئة التي يعيش فيها المدخل التام في اخلاقه ولكن للتربية والتعاليم الدينية المدخل الاتم ، إذ من الممكن ان الانسان ينشأ دينياً اخلاقياً ــ في محل يغلب على اهله الفساد ــ متى اعتنى بتربيته وتعليمه ، كما انك ترى الضابط العسكري والحقوقي القانوني ينشأ بين قوم لا يعرفون من العسكرية إلا لباسها ولا من القانون إلا اسمه ، وكم من شاهد ترى على ما أقول إذا احطت خبراً باحوال الرجال من القدماء والمتأخرين بل وأهل العصر الحاضر .

من الغريب المؤسف ما نراه فى هذا العصر الذي يسميه المتنورون (عصر النور) من فساد الاخلاق واهمال الآداب ما يندى له جبين الانسانية خجلا وتحمر منه خدود البشر به حياء قد أخذ به من أخذ باسم المدنيـــة وما هي إلا عين الوحشية والهمجية ، قد كسحه سيل الغرب الجارف والقى به من محل عزه الى مكان سحيق وهو لا يشعر بنفسه اقتبس الغربيون الغالب مما في دينه من الفضائل والحسنات ، وهو معرض عن النافع مما عندهم من معارف وصنائع مقلد لهم فى الرذائل والسيئات ، يتذمر الغرب من هذه التي يسميها هو بالمدنية وهو آخذ باهدابها وما ذلك إلا من ضعف قواه الدينية وعدم النظر فيما جاء به سيد المرسلين (ص) ، فلو نظر في تعاليم دينه ولو نظرة واحدة كما ينظر فى افكار القوم لأعرض عن هذه المدنيـة ونزع عن عنقه هـــذه القلائد : وبالجملة لا تتم السعادة إلا بالمحافظة على الاخلاق ، ولا يمكن تحصيل ملكة الاخلاق الا بالدين ، فالى الدين الى الدين يا من يروم المحافظة على الاخلاق ، والى الاخلاق الى الاخلاق يا من يريد السعادة لنفسه ولامته ويأمل رقي وطنه وقومه ، هذه وصيتي اليك والله حفيظ عليك .

تربية الانسان نفسه

نفس الانسان من أحب النفائس اليه واكرمها عليه واعز الأشياء عنده وأعلاها لديه ، فمن الواجب المحتم أن يقوم بتربيتها وتهذيبها ويسعى في ايصالها إلى الدرجات العاليه والمنازل الرفيعة من الفضائل والكمالات ورفعها من حضيض الجهل إلى أوج المعارف والعلوم النافعة ويزينها بمكارم

الاخلاق والصفات الفاضلة وإطهرها من دنس العيوب والرذائل .

النفس أمارة بالسوء جرارة للويلات والنقمات حريصة على ما يذمها الانسان من ممارسته ، شرهة على ما يردعها من مخالطته تستخف لسيئات الملاذ وإن علمت انها زائلة ، وتستثقل من حسنات الاعمال وإن درت أنها باقية لكنها تقبل التربية وتخضع للتهذيب وتصلحها الموعظة الحسنة وتنفعها الحكمة البالغة فعلى الذي يطلب نجاحها ويحاول اصلاحها ان يحيط علماً بمساويها ويستقصي جميع عيوبها ثم يشمر ساعد الجد في خلاصها من تلك العيوب والمساوى شيئاً فشيئاً مستعيناً بالدين القويم والعقل المستقيم .

النفس كالطفل ان تهمله شب على حب الرضاع وان تفطمه ينفطم

قال الله تعالى : (واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى) وقال أمير المؤمنين عليه السلام : إن رسول الله (ص) بعث سرية فلما رجعوا قال : مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر ، قيل : يا رسول الله وما الجهاد الأكبر ؟ فقال : جهاد النفس ، وعنه (ص): أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه .

أول درجات تربية النفس إخضاعها للتدين بالدين الصحيح وتحليتها بالاعتقادات الحقة المنزهة عن محدثات البدع والخرافات ، وتمرينها على العمل بالأوامر والنواهي الآلهية وترويضها في الالتزام بالتعليمات الربانية فان النفس بهذه التربية تدرك غايتها وتنال مطلوبها وتنتبه من سنة غفلتها فتعلم حينئذ لماذا خلقت وإلى أين يكون مآلها .

والدرجة الثانية من درجات هذه التربية أن يجعل الانسان العقل

دليلا له لدى حركاته وسكناته ويحكمه على نفسه في جميع الحالات فان العقل ينظر الحسن حسناً والقبيح قبيحاً والنفس لا ترى حسناً إلا ما يوافق شهواتها ولا قبيحاً عدا ما يخالف لذاتها فاذا كانت محكومة للعقل وكان العقل حاكما عليها اهتدت إلى الحسن والقبيح ونححت عن دياجير الفساد إلى صبح الرشاد وعن جادة الخطأ إلى طريق الصواب وأخذت بالفاضل من الاخلاق وتركت السافل ومالت إلى فعل الخير وعدلت عن الشر إلى غير ذلك من الأمور التي تكتسب بها الكمال وترتفع بها عن النقص .

وثالثة درجات هذه التربية مداراة الناس فانها رأس الحكمة وثمرة العقول الناضجة والغاية المطلوبة من الاوهام الراجحة فعلى من يروم تهذيب النفس وتقويمها بهذه التربية تعويدها على ان توقر الكبير وتقدر النظير وترحم الصغير وتغار على العورات وتشكر الحسنات وتغضي عن السيئات وأن تعامل الناس بالحلم عند الغضب وبالعفو لدى الانتقام وبالصدق والامانة واللين والرزانة والمروءة والوفاء والمودة والاخاء إلى أمثال هذه من الأمور التي هي المحور الوحيد لحسن السيرة وعليها مدار الذكر الجميل .

النفس يسعدها هوى مطاع ويعينها شهوة غالبة فمن يرجو الأمان من هفواتهـــا ويأمل ان يكون من شرها في جنة واقية لزمه إخضاعها بوسائل من التأديب وطلب التسلط عليها باسباب من القهر وإنما تنال هذه الوسائل والأسباب بالوعد والوعيد الدينيين فاذا حصل للانسان التسلط عليها بالاخضاع والقهر اطاعته العبد لمولاه وسهل عليه انقيادها انى شاء وحيث اراد ووقع معيناها الهوى والشهوة في قيد اسره واصبح كلاهما طوع

أمره وإذا لم يتمكن على التسلط عليها تسلطت عليه واعانتها الشهوة وساعدها الهوى واوردته موارد الهلكات وجلبت عليه الويلات ولذلك قيل: العاجز كل العاجز من عجز عن سياسة نفسه. وقال بعض الحكماء: لا ينبغي للانسان ان يطلب طاعة غيره ونفسه ممتنعة عليه وقال بعض الصالحين: ويل لمن غلبته نفسه وساده هواه.

من الأمور التي يسوس بها الانسان نفسه ان يخصص ساعة من ساعات ليله أو نهاره لمحاسبتها على حركاتها وسكناتها ليحيط علما بما اكتسبته من الحقوق التي لها أو عليها ليكون على بصيرة من أمرها فيقيمها على الخير ويجاريها على الشر وقد شبهت هذه المحاسبة في بعض الأحاديث بمحاسبة التاجر مع عامله فكما ان التاجر يحاسب عامله على الشيء القليل والكثير من امواله ينبغي لمن يريد محاسبة نفسه ان يحاسبها على الصغير والكبير من اعماله فان نفس الانسان مع هذه المحاسبة الشرعية تغدو سالكة سبيل الهداية في كل اعمالها ناهجة منهج الرشاد في جميع افعالها والى هذه المحاسبة الاشارة في قوله تعالى (ولتنظر نفس ما قدمت لغد) الآية. وقال رسول الله (ص) (اكيس الكيسين من حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت) وقال (ص) لابي ذر: (يا ابا ذر حاسب نفسك قبل ان تحاسب وزن نفسك قبل ان توزن، يا ابا ذر لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك شريكه فيعلم من اين مطعمه ومن أين مشربه ومن أين ملبسه)

هذا ما اردنا بيانه حول هذا الموضوع الجليل ونسأل الباري تعالى ان يعيننا على انفسنا فانه خير من سئل واجود من اعطى وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه انيب.

الايمان

الايمان في كتاب الله تعالى على ما فصله علماؤنا الاعلام رضوان الله عليهم على أربعة اوجه فمنه اقرار باللسان ومنه تصديق بالقلب ومنه الاداء ومنه التأييد فاما الايمان الذي هو اقرار باللسان وقد سماه الله تبارك وتعالى ايماناً ونادى اهله به بقوله عز من قائل (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً وان منكم لمن ليبطئن فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله علي اذ لم أكن معهم شهيداً ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم يكن بينكم وبينه مودة ياليتني كنت معهم فافوز فوزاً عظيما)(١) فقال الصادق(ع) :لو ان هذه الكلمة قالها أهل الشرق وأهل الغرب لكانوا بها خارجين من الايمان ولكن قد سماهم الله مؤمنين باقرارهم وقوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله)(٢) فقد سماهم مؤمنين باقرار اللسان ثم قال لهم صدقوا ، واما الايمان الذي هو التصديق فقوله تعالى (الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة)(٣) يعني صدقوا وقوله جلت عظمته (وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله) أي لا نصدقك وقوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا آمنوا) أي يا ايها الذين اقروا وصدقوا ، فالايمان الخفي هو التصديق وللتصديق شروط لا يتم التصديق إلا بها وقوله سبحانه (ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال

(١) سورة النساء الآية ٧٠ (٢) سوره النساء الآية ١٣٥

(٣) سوره يونس الآية ٦٣ - ٦٤ .

على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) (١) فمن قام بهذه الشروط فهو مؤمن مصدق . واما الايمان الذى هو الاداء فهو قوله تعالى (وما كان الله ليضيع ايمانكم) أي صلواتكم نزلت هذه الآية لما حول الله تعالى قبلة رسوله إلى الكعبة وقالت الصحابة يا رسول الله فصلاتنا إلى بيت المقدس بطلت فانزل الله تعالى(وما كان الله ...) الآية واما الايمان الذى هو التأييد الذي جعله الله في قلوب المؤمنين من روح الايمان فقال جل وعلا : (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه) (٢) ويستدل على ذلك بقوله (ص) لا يزني الزاني وهو مؤمن ولا يسرق السارق وهو مؤمن يفارقه روح الايمان ما دام على بطنها فاذا قام عاد اليه ، قيل وما الذي يفارقه ؟ قال الذي أودع في قلبه ،ومن الايمان ما يوصف صاحبه بالخبيث والطيب وذلك قوله تعالى (ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) (٣) ومن المؤمنين من يكون مؤمناً مصدقاً ولكنه يلبس ايمانه بظلم قال تعالى :(الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) (٤) فمن كان مؤمناً ثم دخل في المعاصي التي نهى الله عنها فقد

---

(١) سوره البقره الآيه ١٧٦ (٢) سوره المجادلة الآيه ٢٢

(٣) سوره آل عمران آية ١٧٩ (٤) سورة الانعام آية ٨٢

ابس إيمانه بظلم فلا نسميه الايمان حتى يتوب إلى الله من الظلم الذي ابس ايمانه حتى يخلص لله ايمانه فهـــذه وجوه الايمان في كتاب الله على وجه الاجمال .

واما في الاخبار فللايمان عين الاطلاقات الواردة في كتاب الله ولكن الخبر الذي يعين لنا المؤمن فهو مثل ماروي في الكافي باسناده عن مولانا ابي عبدالله عليه السلام وقد سأله رجل عن قول المرجئة في الكفر والايمان وقال انهم يحتجون علينا ويقولون كما ان الكافر عندنا هو الكافر عند الله فكذلك نجد المؤمن إذا اقر بايمانه انه عند الله مؤمن ، فقال سبحان الله كيف يستوي هذان والكفر اقرار من العبد فلا يكلف بعد اقراره ببينة والايمان دعوى لا تجوز إلا ببينة وبينته عمله ونيته فاذا اتفقا فالعبد عند الله مؤمن والكفر موجود بكل جهة من هذه الجهات الثلاث من نية أو قول أو عمل والاحكام تجري على القول والعمل فما اكثر من يشهد له المؤمنون بالايمان ويجري عليه احكام المؤمنين وهو عند الله كافر وقد أصاب من أجرى عليه احكام المؤمنين بظاهر قوله وعمله فقد عين صلوات الله عليه المؤمن بانه المعتقد العامل ومن نظر في قوله تعالى (قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم) (١) الآية أتضح له الامر لان الاسلام يحقن دم صاحبه ويصون أمواله ويرتب عليه الآثار الظاهرية للمسلم ، وكذا الايمان بمعناه ، والايمان التام يوجب له استحقاق الثواب وأمثاله ، وقد روى مسنداً عن أمير المؤمنين عليه السلام

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٤ .

أنه قيل له من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله كان مؤمناً ، فقال عليه السلام : فأين فرائض الله ، وانه كان عليه السلام يقول : لو كان الايمان كلاماً لم ينزل فيه صوم ولا صلاه ولا حلال ولا حرام .

يستفاد من قوله عز وجل : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاه ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقاً »(١) إن اطلاق المؤمنين على من لم يتصفوا بالصفات المذكوره ليس اطلاقا بحق وإنما هو اطلاق بحسب الظاهر من احوالهم ، واما المؤمنون حقاً فهم من اتصفوا بتلك الصفات وهم المستحقون لما وعد الله به المؤمنين يوم القيامة من الاجر والثواب وهم الذين يشفع الرجل منهم في مثل ربيعة ومضر كما جاء في الحديث وهم الذين قال فيهم عز من قائل : « قد افلح المؤمنون ، الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاه فاعلون ، والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على ازواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلاتهم يحافظون ، اولئك هم الوارثون ، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » (٢) .

الايمان الكامل نور يقذفه الله تعالى في قلب من يشاء من عباده المخلصين الذين يشتغلون بتهذيب انفسهم عن عيوب غيرهم ويجتنبون كبائر الاثم من أكل لحوم الناس وتتبع عثرات الخلائق وانتقاد اعمالهم التي عملوها بجهالة .

---

(١) سورة الانفال الآية ٢ (٢) سورة المؤمنون الآية ١ - ١٠ .

المؤمن من أمن النّاس شره ورجا المؤمنون خيره ، من عاشر الناس بمعروف وعاملهم باحسان ، إن رأى منهم سيئة سترها وان رأى حسنة نشرها لايجابه المؤمنين بعيوبهم ولا يرتب اثراً إن طرق سمعه شيء من مساويهم ، يتعظ بما يعاب عليه الناس فيجتنب من اقتراف مثله ويتعظ به الناس فيقتدون باعماله .

المؤمن لا يكون طعاناً ولا سباباً ولا هماراً ولا مشاءاً في الغيبة والنميمة ولا . ولا . بل يكون مكتسباً لفواضل الاخلاق ومجتنباً سوافلها كريم المحضر حسن المخبر يحب المؤمنين ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه هشاً بشاً سخياً بالطبع رؤفاً بالمؤمنين غيوراً على أعراضهم هذا ما استمددناه من احاديث النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وعلى أهل بيته الطاهرين ، واما لو أردنا نقل صفات المتقين من المؤمنين التي وصفهم بها أميرهم عليه السلام لهام لأشكل علينا الأمر في عصرنا هذا ولوقعنا في معضلة دهماء لم نتمكن من اقتحامها ولا نقوى على الخروج منها .

علو الهمة

للنفس الانسانية فضائل كثيرة أعظمها فضلا واكثرها كمالا هو علو الهمة وذلك أن يحصل الانسان على ملكة تؤهله إلى أن يسعى لتحصيل السعادة والكمال وان يجهد نفسه ويبذل مواهبه للوصول إلا معالي الأمور ، وإنما كانت هذه الفضيلة من اعظم الفضائل النفسانية لان من حصل عليها كانما حصل على عموم تلك الفضائل لعدم خضوعه للمراتب الدنيئة حينئذ وتطلبه المعالي في جميع شؤونه وحالاته من دون أن يقتنع بالبعض

منها بل كلما اجتاز منها مرحلة وحصل على درجة طمح ببصره إلى أن يجتاز مرحلة اخرى ويحصل على درجة جديدة أعلى من الاولى ، ومن طبيعة الانسان وجبلته انه متى اجتهد للوصول الى شيء وتفرغ لطلبه وصل اليه ولذلك قيل من جد وجد .

لا يتصف بعلو الهمة إلا الانسان ذو النفس الكبيرة وهو الذي يتكلف الخوض في الأهوال ويستسهل الصعوبات ويقاوم الشدائد ويتدرع بدرع الصبر في الملمات مع خبرة وحكمة ودراية واستقامة ، وان ينالها في الحقيقة إلا الانسان الكامل الذي بلغ به كماله ارقى درجات الانسانية ووصل به رقيه اجلى مظاهر الرجولية ، أما من لم يكن كذلك فنصيبه الكد والكدح والتعب وحظه العذاب والجهد والنصب لبس غير ؛ فان معالي الامور اجل قدراً من أن ينالها غير اهلها وأعظم شأناً من أن يدنسها من لم يكن من اكفائها .

إن فضيلة علو الهمة نتيجة من نتائج شجاعة النفس واقدامها وعدم مبالاتها حتى بالموت في سبيل غاياتها الشريفة ، وهي فضيلة تدعو صاحبها إلى احتمال المصاعب والمتاعب في الحياة لاحقاق الحق وايجاب الواجب ، وتهبه قوى معنوية مؤيدة لقواه البدنية ، وتوحي اليه الاطمئنان في الخاطر والاستراحة في الضمير والثبات على المبدء مهما كلفه الأمر من المشاق والاتعاب وحمله من المصائب والنوائب .

إن اصحاب هذه الفضيلة الجليلة هم الذين يقدسهم التاريخ إذا ذكرت اسماؤهم وتخدمهم العصور إذا تليت اوصافهم مع قطع النظر عن مللهم ونحلهم

وعدم الالتفات الى بلادهم وديارهم كافحوا الخطوب وبارزوا الحوادث وحدموا البشرية بخدمات جعلتهم أهلا للاكبار والاعجاب لا زالوا وان يزالوا أمثلة للرقي الانساني تتكرر أعمالهم بظهورها في حياة غيرهم ويحتج الناس باقوالهم الخالدة ، صادفت حركاتهم العراقيل والعقبات فلم يكترثوا بها وسحقوها باقدام الجرأة والاقدام حتى ازالوها من طرقهم وبلغوا مقاصدهم ونفذوا ارادتهم أو ماتوا ميتة شريفة سجلها لهم التاريخ باحرف من نور

انظر إلى اباة الضيم الذين افرد لهم التاريخ القسم الأكبر من صحائفه وأعطاهم النصيب الأوفر من الاطراء والثناء كولدي الزبير (عبدالله) و (مصعب) وأبناء المهلب (يزيد) و (حبيب) و (عبدالملك) و (محمد) و ك (قتيبة) بن مسلم وأمثالهم لم تقدم نفوسهم على الموت إلا بعلو هممهم التي أبت من الخنوع والخشوع تحت راية الذل والصغار والاقامة على الخسف ، كما أن سيد أهل الاباء « الحسين بن علي ع » الذي علم الناس الاباء بشهادة اباة الضيم انفسهم هذا العز المطلق هذا المعدوم النظير لم يبذل تلك النفس الكريمة إلا لتلك الغاية الشريفة بعد أن رأى أن سيطرة يزيد ابن معاوية على الامة ستذهب بدينها ودنياها لمجاهرته بالرذائل ومخالفته الصريحة للدين الحنيف وعدم لياقته للرئاسة العامة على المسلمين ومن مأثور كلامه عليه السلام « ألا وإن الدعي بن الدعي — يعني عبيد الله بن زياد — قد ركز بين اثنتين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ، وجدود طابت ، وحجور طهرت ، ونفوس أبية وانوف حمية من ان تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام » وورث من الحسين « ع » هذه النفس الكبيرة

وهذه الهمه العالية جنبده « زيد بن علي بن الحسن ع » و « محمد » و « ابراهيم » ولدا عبد الله بن الحسن وجماعة من آل ابي طالب ممن قام في وجوه الظالمه والمستبدين ، وهذه الشهامة وهذا الشمم اللذان سجلها التاريخ العربي لاباة الضيم من رجال العرب سجل أمثالها المؤرخون من الغربيين لرجال منهم أمثال « لوثر » و « هنري فين » ، ومما يؤثر عن « لوثر » انه قال حين اشتدت عليه وطأة اعدائه : (لو أن لي جمجمة رأس لآثرت ضياعها على العدول عن رأيي في العقيدة الدينية) ، ومما يؤثر عن « هنري فين » انه قال قبل ان يقتل : (إن الموت للفقط حقير وأمر خطير ، والموت عندي خير من حياة مريضة ، والعاقل لا يعيش إلا إذا كانت حياته خيرا من موته) وقد عد المعصوم القائد (كرمول) الانكليزي من عظماء الرجال الذين نجحوا بعلو همهم في أعمالهم لانه كان وقف حياته على درء المظالم عن عامة الانكليز وكان زعيم الحركات الوطنيه في انكلترا .

إن الاراده القويه هي العامل الوحيد في ثبات كرماء الرجال على مبادئهم الشريفة وعدم تزلزلهم بالعقبات المعترضة في طرقهم واخذهم بيد الانسانية من حضيض الجهل إلى أوج الرقي في الكمال واحترامهم الحق وخذلانهم الباطل ونهوضهم في طلب العز والشرف ، وقوام كل أمة برجالها ، فالامه التي تكون فيها رجال يملكون هذه الاراده المطلوبة حق لها التقدم والرقي لانها لا بد ان تصل إلى غايتها المتمناة يوما من الأيام ، وهذه الاراده لا تحصل للانسان إلا بكمال العقل لان العقل هو المسيطر الوحيد على الشؤون الانسانيه وحالاتها ؛ وكمال العقل لا تتأتى للانسان إلا بالعلم ، وهـذا العلم المطلوب لا ينال إلا بالتربية الصحيحة التي هي اساس كل فضيلة وأصل كل منقبه

فمن الواجب على الامة الحريصة على تكوين الرجال ان تهذب ناشئتها تهذيباً يرشدها إلى السعادة في الدارين وذلك بتوفير حظوظها من الاخلاق الفاضلة وصفات الكمال وتحذيرها من الوقوع في هوة الرذائل ، وقد قال الفيلسوف (مرتن لوثر) : (ما سعادة الامم بكثرة أموالها ولا بقوة استحكاماتها ولا بجمال مبانيها وإنما سعادتها بأبنائها الذين تثقفت عقولهم وبرجالها الذين حسنت تربيتهم واستنارت بصائرهم واستقامت اخلاقهم ففي هؤلاء سعادتها الحقة وهؤلاء قوتها الرئيسة وعظمتها الجوهرية)

ربما تكون في التاريخ بعض الرجال ادركوا سيادة عظمى اورياسة كبرى أو نجحوا في اعمال خطيرة بما نسميه الحظ أو الصدفة من دون ان تضمهم مدرسة أو يذوقوا شيئاً من التربية فهؤلاء مضافاً إلى قلتهم وندرتهم من شذوذ الطبيعة وما قدمناه من الكلام إنما هو في الأعم الأغلب من البشر على أن هؤلاء إذا نظرنا إلى حركاتهم وسكناتهم رأيناهم مقتفين أثر عظيم من عظماء العلم في سيرهم ومتبعين طريق كبير من كبراء الفضل في اعمالهم كما أن بعضهم صرح بذلك فيما املاه على بعض خاصته .

ان المبادىء الصحيحة التي يأخذها الناشىء من المربي العامل بها هي طريق نجاح الامة وسبيل فلاحها إذ لا تتكون الامة إلا من الافراد .

وإنما قيدت المربي بالعمل لان الناشىء الساذج ذا النفس الصيقلية التي تنطبع فيها صور ما حواليها من الاخلاق اذا رأى من مربيه وإمارة أجلى إذا رأى استاذه غير عامل بما يقوله له أو أن عمله بعكس ما يأمر به فلا يأخذ من ذات الاستاذ دروسه المطلوبة إلا كما تأخذ الببغاء الالفاظ من ملقنها وحينئذ يترك الناشىء العمل كما تركه استاذه أو يرتكب عكسه كما

ان تكسه ذات الاستاذ فلا تحصل له الفائدة ويعوزة المرض ، فعلى الامة أن تختار لناشئتها من المربين من ترى فيهم الكفاءة من الرجال العاملين مدرسية كانت التربية أم بيتية وعلى الله النجاح .

الحياء

لكل انسان صفة معنوية يعبر عنها بالخير مرة وبالشر اخرى حسب آثارها الظاهرة في الخارج ولا يمكن لأحد من الناس أن يعرف صاحبها أو يحيط علماً تفصيليا بصفته هذه إلا بالمعاشرة أوالمعاملة أوالمجاورة ، ولكل واحد من الخير والشر الكامنين في الانسان علامة تخصه فاذا وجدت تلك العلامة في أحد من المخلوقين علم انه من أهله اجمالا ، فعلامة الخير الحياء وعلامة الشر الصحة والبذاء ، قال النبي (ص) : (الحياء من الايمان ، والايمان في الجنة ، والبذاء من الجفاء والجفاء في النار) . وإنما كان الحياء من الايمان لان صاحبه قد اتسم بصفة وهي الخير لا تصلح إلا للمؤمنين بخلاف البذاء . . . وقد جاء في حديث آخر انه (ص) قال : (إن الله يحب الحليم الحيى ويبغض الفاحش البذي) ، وفي آخر عنه (ص) : (فإن الحياء كنز ، الحياء نظام الايمان فاذا انحل نظام الشيء تبدد ما فيه وتفرق) وقال الصادق (ع) : (الحياء والايمان مقرونان في قرن فاذا ذهب احدهما تبعه صاحبه . لا ايمان لمن لا حياء له)

الحياء حياة المحيا وزينة الجوارح وروح الآداب وقوام الاخلاق وداعية الوقار وامارة العفة وعلامة الخير يمنع صاحبه من عمل المنكرات ويردعه من فعل الموبقات ويؤمن الناس من شره ويرشدهم إلى خيره ، ومن كلام سيد البلغاء أمير المؤمنين (ع) : (من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس

عينه) واليه نظر قول من قال .

وحاجة دون أخرى قد سنحت لها جعلتها التي احببت عنوانا

واني لأرى من لاحياء له ولا أمانة وسط القوم عريانا

وفي الخبر عن سيد البشر صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : (من القى جلباب الحياء فلا غيبة له) ، ومفاد هذا الخبر ان من لا حياء له فاسق ، ويفسر هذا خبر (لا غيبة للفاسق) وعنه ﴿ص﴾ : (أربع من كن فيه وكان من قرنه إلى قدمه ذنوباً بدلها الله حسنات ، الصدق ، والحياء ، وحسن الخلق ، والشكر) وقال أبو عبدالله ﴿ع﴾ : (أربع من كن فيه كمل ايمانه وان كان من قرنه إلى قدمه ذنوباً لم تنقصه ذلك ، الصدق ، واداء الامانة ، والحياء ، وحسن الخلق ﴾

الحياء مطلوب من الرجال والنساء ولكن مطلوبيته من النساء أشد وأوكد ، كان العرب إذا ارادوا المبالغة في حياء الرجل قالوا هو احيى من فتاة ، قال شاعرهم :

فتى كان احيى من فتاة حيية وأرهف من ذي شفرتين صقيل

والحياء من صفات الأنبياء وكان نبينا الهادي ﴿ص﴾ اشد الناس حياء حتى في بيته وبين نسائه وقد روي انه ﴿ص﴾ كان من شدة حيائه لا يثبت بصره في وجه احد ، وكان في بيته أشد حياء من العاتق لا يسألهم طعاماً ولا يشتهيه عليهم إن أطعموه أكل وما سقوه شرب وما أعطوه قبل ، وكان الأئمة من أهل بيته على سيرته ، ومن قصيدة الفرزدق في مدح علي بن الحسين عليه السلام .

يغضي حياء ويغضى من مهابته فلا يكلم إلا حين يبتسم

للحياء مراتب أربع (المرتبة الأولى) حياء الانسان من الخالق وذلك أن لا يترك أوامره وان يجتنب نواهيه ويحسن مع عباده ، وهذا الحياء إنما يكون من كمال المعرفة بالله تعالى وقوة الالتزام بدينه ، قال أحد الاصحاب للنبي ﴿ص﴾ : عظني يا رسول الله ، فقال ﴿ص﴾ : استحي من الله تعالى استحياءك من ذوي الهيبة من قومك ، وروي انه (ص) قال : (استحيوا من الله حق الحياء فقيل : يا رسول الله وكيف ذلك ؟ فقال : من حفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعى وترك زينة الحياة الدنيا وذكر الموت والبلا فقد استحيا من الله حق الحياء)وقال أمير المؤمنين عليه السلام : (اتقوا معاصي الله في الخلوات فان الشاهد هو الحاكم) وحكى بعض الأعراب قال : خرجت في ليلة بهيمة فاذا أنا بجارية كأنها علم فراودتها فقالت أما لك زاجر من عقل إذا لم يكن لك ناه من دين ؟ فقلت : إنه لا يرانا أحد إلا الكواكب فقالت وأين مكوكبها ؟ فاطرقت حياء من الله تعالى وتبت من ساعتي .

(المرتبة الثانية) من مراتب الحياء حياء الانسان من المخلوقين وذلك بترك الفضائح واجتناب القبائح وكف الأذى وستر ما لا تصلح المجاهرة به ، وهذا الحياء إنما يكون من الاباء لان الأبي النفس البعيد عن الدنية لا تطاوعه نفسه أن يقول فيه الناس ما لا يحب ويرغب في حسن الثناء عليه وجميل الاحدوثة عنه فلا يعمل ما ينفر به قلوب الناس عن نفسه ، ومن مدائح بعض الشعراء .

وجه عليه من الحياء سكينة ومحبة تجري مع الانفاس
واذا أحب الله يوما عبده القى عليه محبـة للناس

وقال بعض ذوي الحياء :

احب مكارم الاخلاق جهدي وأكره أن اعيب وأن اعابا

واصفح عن سباب الناس حلماً وشر الناس من يهوى السبابا

ومن هاب الرجال تهيبوه ومن حقر الرجال فلن يهابا

وابشار بن برد :

ولقد اصرف الفؤاد عن الشـ ـيء حياء وحبه في السواد

امسك النفس بالعفاف وامسي ذاكرا في غد حديث الاعادي

وفي الحديث (من تقوى الله اتقاء الناس ولا غيبة للعاسق المجاهر)

واتى حذيفة بن اليمان ليشهد صلاة الجمعة فرأى الناس قد انصرفوا منها فتنكب الطريق لئلا يراه المصلون وقال : لا خير فيمن لا يستحي من الناس

(المرتبة الثالثة) من مراتب الحياء حياء الانسان من نفسه وذلك بان يتطاب لها العفة ويترفع بها عن الدنية والضعة وهذا الحياء إنما يكون من طهارة الانسان الباطنة وحسن سريرته قال الشاعر :

ورب قبيحة ما حال بيني وبين ركوبها إلا الحياء

إذا رزق الفتى وجها وقاحا تقلب في الأمور كما يشاء

(المرتبة الرابعة) من مراتب الحياء حياء الانسان من ربه ومن الناس ومن نفسه وهذا الحياء إنما يكون من كمال المروءة وقد جاء في الحديث عن النبي (ص) انه قال . (لا دين إلا بمروءة) ولما قتل مصعب بن الزبير قيل لعبد الملك بن مروان : أكان مصعب يشرب الخمر ؟ فقال : لو علم مصعب ان افسد مروءته ما شربه ولله در القائل :

واني ليثنيني عن الجهل والخنا وعن شتم ذي القربى خلائق اربع

حياء واسلام وتقوى وانني كريم ومثلي من يضر وينفع

والقائل

إذا لم تصن عرضاً ولم تخش خالقاً
وتستحي مخلوقاً فما شئت فاصنع

وهذا البيت مضمون حديث شريف روى بالاسناد عن ابي منصور البدري أحد البدريين عن رسول الله (ص) (ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى . يابن آدم إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت) ومعنى هذا الحديث الأقدس أن عديم الحياء الذي لا يبالي بما قال وما قيل فيه لا رادع يردعه عن عمل المنكرات ولا زاجر يزجره عن اقتراف السيئات .

كما ان الحياء مراتب فعدمه أيضاً مراتب وذلك باعتبار الشرور والمساوي الناشئة منه كالكذب والغيبة والبهتان والنميمة والنفاق والظلم والرشوة وشهادة الزور والفسق والفجور وشرب الخمر والبغي على الناس وامثالها من الامور التي لا يرتكبها إلا الانسان الوقح العديم الحياء وربما نشأ عدم الحياء من ارتكاب أمثال هذه الامور كما جاء في الكلمات المنسوبة لأمير المؤمنين عليه السلام (من لانت اسافله صلبت اعاليه) (من أتى أخاه في حاقه ونبذه لسانه) وفي الأثر أن (ابرويز) هو أحد ملوك الفرس راود امرأة على الفجور فقالت له : ايها الملك إن المرأة طبعت على ثلاثة اجزاء من الحياء ، فاذا اقترفت فجوراً ذهب من حيائها جزء ، وإذا حملت من فجورها ذهب الجزء الثاني ، وإذا ولدت من حملها هذا ذهب الجزء الثالث ، وانا اعيذ الملك أن اعدمني شيئاً من اجزاء حيائي فكف عنها ولله من قال :

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنع ما تشاء

فلا والله ما في العيش خيراً ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقي اللحاء

ومما أطمئنه قبل سنوات :

من فاته شرف الحياء فماله شرف ولا دين ولا إيمان
ان الحياء فضائله ومديه هي للفضائل كلهـــا عنوان

الأمانة والخيانة

الأمانة أكبر دعامة يقوم بها بناء المجتمع واعظم ركن يستند اليه ايجاد المنافع وهي من اهم الأمور التي تأخذ بيـــد صاحبها وتنهض به إلى مراقي النجاح والفلاح وا كمل الصفات التي تؤهل من اتصف بها للشرف والسؤدد ، كم من وضيع نسب نال من الدنيا المنصب الأعلى لأمانته ، وكم من شريف حسب وقع من ذروة المجد إلى حضيض الهوان لخيانته ، قال الله تعالى في كتابه الكريم : (ان الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات إلى اهلها) (١) وقال تعالى : (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) (٢) وقال جل وعلا : (ولا تكن للخائنين خصيما) (٣) وقال عز وجل : (وان الله لا يهدي كيد الخائنين) (٤) وقال النبي (ص) : (لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له) وكتب ابو العلاء المعري إلى الشريف المرتضى (قدد) يسأله :

يد بخمس مئين عسجد وديت ما بالها قطعت في ربع دينار

فاجابه الشريف طاب ثراه .

---

(١) سورة النساء الآية ٥٧
(٢) سورة المؤمنون الآية ٨
(٣) سورة النساء الآية ١٠٤
(٤) سورة يوسف الآية ٥٢

عن الأمانة اغلاها وارخصها ذل الخيانة فافهم حكمة البارى

ومن دعاء منسوب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم (اعوذ بك من الخيانه فبئست البطانه) وعلامات المنافق المذكوره في الحديث انه إذا حدث كذب، وإذا ائتمن خان، ومن حديث سعيد بن جبير انه لما نزلت هذه الآية (ومن اهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده اليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل) (١) يعنون أن أموال العرب حلال لهم لانهم من غير أهل الكتاب، فقال رسول الله (ص): (كذب اعداء الله ما من شيء كان في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي إلا الأمانه فانها مؤدات إلى البر والفاجر) وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (أد الأمانه إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك) يأمر أمته صلوات الله عليه وآله وسلم أن لا يخونوا حتى من خانهم لئلا يتخذوا الخيانه خلقاً، وقال (ص): لا تزال امتي بخير ما لم تر الأمانه مغنما والصدقه مغرماً) ومن كلام احد الملوك: الزم الرفيقين الأمانه والعدل وقال الأحنف: إذا لم تكن خائناً فبت آمناً.

الأمانة من اشرف صفات الأنبياء والأوصياء لانهم امناء الله على خلقه وعلى تبليغ أوامره ونواهيه، فمن تحلى بهذه الصفة الكريمة كان مشاركا للانبياء والاوصياء بهذا الشرف الخطير. والخيانة من ارذل صفات المشركين والمنافقين فمن اتصف بها كان اسوأ حالا منهم لان أولئك لم يقيدهم دين ولم تهذبهم شريعة بخلاف هذا المسلم ــ الذي اتصف بهذه الصفه

(١) آل عمران الآيه ٧٥

المشومة ـ فان شريعته النزيهة وديه الكريم كلاهما يأمرانه باجتنابها وشرانه عن التلوث بها .

الامانة من أحلى رموز رقى الأمة ومن أظهر مظاهر حضارتهم لان بها يكون سير التجارة وعشرة المعاملات وارباح المكاسب ومنافع الصنائع فاذا اختلت الاخلاق بالخيانه سلبت الثقة ووقفت الأشغال ، وضاقت المعيشه وانحل النظام وآل الأمر إلى الفساد وسوء العاقبه .

الامين محل ثقة المجتمع وموضوع عنايه الافراد محبوب عندالله وعند الناس بضاعته رابحه وجاهه عظيم يعده ذوو اليسار والثروة باموالهم ويضيفون بتقديرهم إياه شرفاً الى شرفه وجاهاً الى جاهه بخلاف الخائن فانه على ماهو فيه من سخط الخالق وبغض المخلوقين فانه يجد ذله في نفسه وخزيا وعاراً في اعماله فهو دائماً وجل القلب غير مستريح الضمير مبلبل البال مزلزل الخاطر .

الانسان أمين بفطرته والذي يجعله خائناً ويجره إلى هـــذه الصفة الملعونه أمور منها صغر النفس ودناءة التربية والطمع الزائد وعدم التقيد بالدين واثم العصر وامثالها ، فعلى الانسان الذى يروم التخلق بالاخلاق الكرام ويأمل أن يكون محلا للتجلة والاعظام ان يزين نفسه بزينة الامانة وان يجنبها قبح الخيانه ليعيش عيشه هنيئة وينعم نعمة بيضاء .

ان الأمانه لو علمت كرامة	بالمرء تبلغ رتبة الاسعاد
ودع الخيانة واجتنبها كم لها	في اهلها من ذلة وفساد

الوفاء

الوفاء اصطلاحان فتارة يطلق ويراد به ما يقابل الغدر وأخرى يطلق

ويراد به ما يقابل الخلف ونحن نتكلم على الوفاء بمعناه الاعم فنقول :

الوفاء من اغلى الصفات التي يتصف بها البشر ، ومن احلى الحلي التي يتحلى بها الانسان ، بالوفاء تظهر مصاديق الانسانية وبالوفاء تتحلى مفاهيم البشرية ، لا تعرف المحبة الصادقة إلا بالوفاء ، ولا تحصل بدونه أسباب الالفة والاخاء .

الوفاء في الانسان من ادلة كرم نفسه . ومن امارات كمال عقله . ومن براهين قوة إيمانه ومن علائم صحة عقيدته ومن أسباب عظم قدره ومن دواعي مجده وشرفه ومن بواعث حسن سيرته . ومن مقتضيات صفاء سريرته .

الوفاء هو أول صفة يتصف بها الصديق الصدوق واحسن نعت يتوخاه من يروم المعاشرة مع الناس . . فيقال إنتخب من الاصدقاء ذوي الكرم والوفاء ، فانهم أعوانك على نوائب الدهر وجنودك على حوادث الزمان ، ومن كلام بعض ذوي التجارب : الوفاء من شيم الكرام والغدر من طبائع الاثام ، وقال بعض الحكماء : اذا ذهب الوفاء نزل البلاء واذا ظهرت الخيانات استمحقت البركات ، وقالت العرب : أكرم الوفاء ما كان عند الشدة ، والأم الغدر ما كان عند الثقة ، وقال بعض الادباء : الوفاء من سيم النفوس الشريفة والاخلاق الكريمة والخلال الحميدة ، يعظم صاحبه في العيون وتصدق فيه خطرات الظنون .

وقد جاء ذكر الوفاء في كتاب الله الكريم مكررا . . فمن ذلك قوله عز من قائل : (واوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها) (١) وقوله تعالى : (يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود) (٢)

(١) سورة النحل آية ٩١ (٢) سورة المائدة آية ١

وقوله عزوجل : (والذين يوفون بعهدهم إذا عاهدوا) (١) وقوله سبحانه : (وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا) (٢) وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (انه قال : إن اقربكم مني غـــداً في الموقف اصدقكم في الحـــديث وأداء الأمانة ، وأوفاكم بالعهد ، واحسنكم خلقاً واقربكم من الناس) وعن أمير المؤمنين علي (ع) انه قال : الهوى ميل والوفاء كيل . يمكن أن يكون كيل كناية عن عظم شأن الوفاء أو يريد(ع) أن الوفي يضع نفسه فكأنه بوفائه كال لنفسه كيلا ، وعن أمير المؤمنين أيضاً : لاصدق إلا مع الوفاء ،ومنه عليه‌السلام أخذ من قال : لاوفاء لدي مين وعن أبي جعفر عليه السلام : من كمال الاسلام الوفاء ، وعن أبي عبدالله عليه السلام : خمس خصال من لم تكن فيه لم يكن فيه كثير مستمتع أولها الوفاء ، الثانية التدبير ، الثالثة الحياء ، الرابعة حسن الخلق ، الخامسة وهي تجمع هذه الخصال الحرية .

إن من أظهر انواع الوفاء النصيحة للاخوان وحفظ جانبهم في حضورهم وغيبتهم وتوقيرهم في مجالسهم والحنين إلى الوطن وحب العشيرة ، وقد قالت العرب : إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ودوام عهده فانظر إلى حنينه لاوطانه وتشوقه إلى اخوانه وتأسفه على ما مضى من زمانه ، وقال بعض الملوك : أحب الناس إلي صديق وفي يحببني إلى الناس .

ومن أهم اقسام الوفاء مواساة الصديق في الشدة والرخاء ، ومن قول بعض أهل المروة : أفضل الكرم أن يكون الانسان عند النائبة أكرم وفاء وأمحض صفاء . وقالوا : حافظ على الصديق ولو على الحريق . وقالوا : احسن

---

(١) سورة البقرة آية ١٧٧ (٢) سورة الاسراء آية ٣٤

الاخاء والمواساة في الشدة والرخاء ، وابلغ ما سمعته في هـذا المعنى قول من قال :

إن أخاك الصدق من كان معك ... ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا ريب الزمان صدعك ... شتت منه شمله ليجمعك

ولله در القائل :

عهدت على حب الوفاء واوثنا ... إن الوفاء سجية الأحرار

وقال بعض الادباء :

اشدد يديك بمن بلوت وفاءه ... إن الوفاء من الانام عزيز

وكأن الشيخ صفي الدين الحلي نظر إلى هذا المعنى حيث يقول :

لما رأيت بني الزمان وما بهم ... خل وفي للشدائد اصطفي
ايقنت أن المستحيل ثلاثة ... الغول والعنقاء والخل الوفي

ولكنه بالغ في سوء الظن ، أما الغدر والخلف فكلاهما مذمومان عقلا ونقلا ، ولو لم يأت في الغدر إلا قول أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام : الغدر مكر والمكر كفر . لكان كافياً للانسان العاقل أن لا يرتكبه كيف وقد قال الله تبارك وتعالى : (أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) (١) وقال : (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض اولئك هم الخاسرون) (٢) وقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه : ثلاث هن راجعات الى اهلها ، المكر . والنكث . والبغي ثم تلا قوله تعالى . (ولا يحيق المكر السيء إلا باهله) (٣)

---

(١) سورة النحل آية ٤٥ ... (٢) سورة البقرة آية ٢٧

(٣) سورة فاطر آية ٤٣

(فمن نكث فانما ينكث على نفسه) (١) ، (إنما بغيكم على أنفسكم) (٢) واشد ما جاء في خلف الوعد قوله تعالى . . (يا أيها الناس لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) (٣) المقت البغض أو شده البغض أي عظم بغضاً عند الله هـذا الخلف وعن النبي (ص) انه قال : آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب ، واذا وعد اخلف ، واذا اؤتمن خان .

إن الأحاديث والاخبار وأقوال الحكماء والادباء في مدح الوفاء وذم الخيانة أكثر من أن تحصى ونحن في كلمتنا هذه نكتفي بما أوردناه ، فعلى الانسان الذي يريد التخلق باخلاق الانجاب أن يأخذ بفضيلة الوفاء ويجتنب رذيلة الخيانة والغدر ليكون انساناً مهـذباً محبوباً لدى الخالق عزيزاً لدى المخلوقين . . وإن الله لمع المحسنين .

الصدق والكذب

من علامات وفور عقل الانسان وكمال مروته تعويد لسانه على الصدق وضبطه عن الخوض في الكذب ، وذلك ان الصدق وهو المطابق الواقع باعتقاد صاحبه مستحسن عقلا ، والكذب وهو مالا يطابق الواقع باعتقاد صاحبه مستقبح عقلا ، والعقل يدعو صاحبه الى فعل المستحسن دون المستقبح ، والمروة وهي الأخذ بالفضائل يرشد صاحبها الى الصدق وتنهاه عن الكذب لان الصدق من الفضائل التي يستحسنها العقل ، والكذب بخلافه ، فصاحب المروة يكون صادقا لا محالة ، وليس كذلك من لا مروه له والى هذا ينظر قول الحكماء .

---

(١) سوره الفتح آيه ١٠ (٢) سوره يونس آيه ٢٣

(٣) سوره الصف آيه ٢ – ٣

إن صدق اللسان اول السعادة وكذبه نهاية الشقاء .

الصدق من اجمل الاخلاق الفاضلة والكذب من اقبح الخصال السافلة ، وتتجلى هذا الجمال للصدق اذا نظرنا الى حاجة المجتمع الانساني اليه من حيث تفاهم بعض الافراد مع البعض الآخر كالتاجر والعامل والطبيب وغيرهم فيما يخص حرفهم فانهم اذا لم يستعملوا الصدق سلبت الثقة من المجتمع وبسلبها يحصل الانحلال بل الاضمحلال ، ويتضح هذا القبح في الكذب إذا نظرنا الى سوء عاقبته وخبث النتيجة التي يخلفها في المجتمع وذلك أن النميمة فرع من فروعه ونتيجتها البغضاء ونتيجة البغضاء عداوة الافراد أو تعدى بعضهم على البعض فلا يبقى راحة ولا يحصل اطمئنان ، ولذلك قالت العقلاء : من قل صدقه قل صديقه ، وقال بعض الحكماء : الصدق ميزان الله الذي يدور عليه العدل ، والكذب مكيال الشيطان الذي يدور عليه الجور ، ويفسر ما ذكرناه من قبح الكذب رواية محمد بن مسلم عن الباقر (ع) : ان الله جعل للشر اقفالا وجعل مفاتيح تلك الاقفال الشراب ، والكذب شر من الشراب ، يريد صلوات الله عليه بالشراب المسكرات وبالاقفال الامور المانعة من ارتكاب الشرور كالعقل وما يتبعه من الحياء والاباء والخوف وامثالها ، وإنما كانت مفاتيح هذه الاقفال في الشراب لأنه يزيل العقل وبزواله تزول جميع توابعه المانعة من ارتكاب الشر ، وانما كان الكذب أشد من الشراب لان من جعل الكذب ديدناً لنفسه واتخذه خلقاً يتخلق به لا يمتنع من كل أمر يسمى كذبا حتى الكذب على الله وعلى رسوله فيفعل ما يفعله شارب الخمر وزيادة ، ولان شارب الخمر يرتكب ما يرتكبه وهو مسلوب العقل والكاذب يعرف الآثام وعقله معه ، ولذلك جاء عن النبي (ص) : الكذب رأس كل خطيئة ولما سئل النبي صلى الله

عليه وآله وسلم أيكون المؤمن جباناً ؟ قال : نعم فقيل : أيكون بخيلا قال : نعم فقيل أيكون كذاباً ؟ قال : لا ، فظهر من هذا الحديث أن الكذاب مسلوب الايمان .!

الآيات القرآنية التي تحث على الصدق وتحذر عن الكذب كثيرة والاحاديث واقوال الحكماء اكثر وأكثر قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين (١)) وقال تعالى : (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم (٢)) وقال عز من قائل : (ليجزي الله الصادقين بصدقهم (٣)) وقال تعالى : (إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله (٤)) وقال تعالى : (إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار (٥)) وقال سبحانه : (وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لاجرم ان لهم النار وانهم مفرطون (٦)) وقال النبي (ص) : « الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وان الكذب يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا) وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « اربع اذا كن فيك فلا يضرك ما فاتك من الدنيا ، صدق الحديث ، وحفظ الامانة ، وحسن خلق وعفة طعمة » وقال (ص) : كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وانت له به كاذب » وعنه (ص) : « عليكم بالصدق فانه مع البر وهما في الجنة » وعنه (ص) : الكذب ينقص الرزق » وعنه «ص» انه قال لبعض اصحابه : أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث »

---

(١) سورة التوبة آية ١٢٠ (٢) سورة المائدة آية ١٣٣
(٣) سورة الأحزاب آية ٢٤ (٤) سورة النحل آية ١٠٥
(٥) سورة الزمر آية ٣ (٦) سورة النحل آية ٦٢

وقال امير المؤمنين (ع) : ﴿ اعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيامة ﴾ وقال مولانا الباقر عليه السلام : (الكذب هو خراب الايمان) وروي عن الصادق عليه السلام انه قال قال رسول الله (ص) : ﴿ اقل الناس مروءة من كان كاذبا ﴾ وعن امير المؤمنين (ع) : ﴿ لا سوء اسوء من الكذب ﴾ وعنه (ع) : ﴿ ألا فاصدقوا فان الله مع الصادقين ، وجانبوا الكذب فان الكذب مجانب الايمان ، ألا وان الصادق على منجاة وكرامة ألا وان الكاذب على شفا مخزاة وهلكة ﴾

الصدق يرفع قدر صاحبه بين الناس ويجلب له مودتهم وعطفهم وثقتهم به بخلاف الكذب فانه يذهب بهاء الوجه واضطراب الضمير ويجلب لصاحبه سخط الناس ومهانته واحتقارهم معاشرته ومعاملته ، وماذا ينفع الانسان بحياته اذا سلب ثقة الناس به وحرم من معاشرتهم ومعاملتهم ، وهل يشعر هذا المخلوق في نفسه بذلة وهوان أم لا ؟ اللهم نعم . إذ يرى نفسه ذليلا حقيراً غير مرتاح في حله ومرتحله ، وقد قال بعض ذوي العقول : لم يكذب احد كذبة إلا وصغر قدر نفسه عند نفسه ، وكفى الكذب ذماً انه لا يوجد طريق الى النفاق ولا يلقى مدخل اليه إلا منه ، ولذلك جاء في الحديث : الكذب باب من ابواب النفاق .

ان الكذب معصية عظمى وطامة كبرى ، وأنواعه كثيرة وأعظم انواعه ذنباً واكبرها خطيئة الكذب على الله وعلى رسله وامنائه ، ومثاله اليمين الكاذبة ، قال الله تعالى : ﴿ إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله واولئك هم الكاذبون (١) ﴾ وقال رسول الله (ص) : (من

(١) سورة النحل آية ١٠٥ .

كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) وورد في جملة من الاحاديث ان الكاذب على الله ورسوله والائمة ملعون ، وان مثل هذا الكذب يفطر الانسان اذا كان صائماً ، ويروى عن النبي « ص » انه قال : « من حدث عني بحديث وهو يرى انه كذب فهو أحد الكذابين » وقال « ص » : « من حلف على يمين بإثم ليقتطع بها مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان » .

وقد عبر عن اليمين الكاذب في الحديث مرة بالفجور ومرة باليمين الفاجرة ، وان من حلف الحلف الفاجر لا يكلمه الله يوم القيامة ولا ينظر اليه ، وعن الباقر عليه السلام انه قال : « لا تكذب علينا كذبة فتسلب الحنيفية » والمراد انه يسلب الايمان ، وعن النبي « ص » : « ما حلف حالف بالله فأدخل فيها مثل جناح بعوضة إلا كانت نكتة في قلبه الى يوم القيامة » .

الانسان صادق فطرة فاذا صادف تربية صالحة وانقاد الى عقل او دين بقي على صدقه ولم يتحول عن فطرته واما اذا لم يصادف ذلك وخالط اهل الاهواء جانب فطرته واتخذ الكذب كآلة لجلب منفعة او دفع مضرة وامثالها حسب اعتقاده واذا لم يكن الصدق في الانسان فطريا لما حصل اطمئنان في اصل الاصول التي نقلها الخلف عن السلف ولا ريب اعتقاد في رواية او نقل ولا كان وثوق في أمر من امور الدنيا بين الناس وذلك باطل قطعاً ومن هنا نعلم أن الصدق ضروري من ضروريات الحياة وان البشر محتاج اليه في جميع شؤونه وحالاته .

ان من انواع الكذب (النفاق) وهو أن يعامل الانسان الناس

بظاهر يضمر خلافه ويكفيه ذماً قوله تعالى : (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار (١)) (وشهادة الزور) ويكفيه حرباً قول النبي « ص » : (شاهد الزور كعابد الوثن) وقال الله تعالى في صفة المؤمنين : (والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما (٢)) و (خلف الوعد) وكفاه تقريعاً قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون (٣)) ، و (الرياء) وهو مرآة الناس في اعماله التي تقصد بها الله عادة وهذا النوع والنفاق من الكذب العملي في الحقيقة ولولم يكن في الرياء إلا ان صاحبه يسجد ويركع لغير الله لكفاه ذما ، و (التملق) وهو مدح الانسان بالا يعتقده فيه وهو خلق مذموم لا يتخلق به إلا الآيس من فضل الله ورحمته الملتجئ الى فضل الناس ورحمتهم ، و (الكذب في المزاح) وقد جاء فيه عن النبي « ص » : (ويل للذي يحدث ويكذب ليضحك به القوم ويل له وويل له) ، ومن الكذب المعيوب (فتوى العالم بما لا يحققه وفتوى من ليس له اهلية الافتاء ، وقد ألحق بعض العلماء هذا الكذب بالكذب على الله ورسوله وهو إلحاق حسن لانه إن لم يكن ذلك بعينه فهو يستلزمه) .

ربما استحسن العقل الكذب في بعض الموارد فحينئذ يخرج من كونه قبيحا بالنظر الى ذلك المورد الخاص ولما كان شرعنا الاقدس ماشياً مع العقل جنبا لجنب وردت فيه الرخصة بجواز الكذب في تلك الموارد ، وضابطها أن يكون الكذب لدفع ضرر أو فساد أو شر أو نحو

---

(١) سورة النساء آية ١٤٤ (٢) سورة الفرقان آية ٧٢
(٣) سورة الصف آية ٢ - ٣

ذلك كقول من يريد اصلاح ذات البين وقول من يكيد في الحرب وحديث أحد الزوجين مع صاحبه وامثالها ، وقد وردت الاحاديث الكثيرة في ذلك ، وان الأولى بالانسان اذا تمكن في مثل هذه الامور من التعريض او الكناية أو التورية فلا يستعمل الكذب تحرجاً منه واثلا تلوث بالكذب في حالة من حالاته وان لم تستقبحه العقل سداً للباب ، ولهذا ورد عن النبي «ص» : (إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب)

إن الانسان المبتلى بالكذب اذا أراد الخلاص من شروره والاقلاع عن مضراته فله طرق كثيرة (منها) أن يعود الى الدين ويتصور مساوى الكذب ومذامه في الكتاب والسنة ، (ومنها) أن يرجع الى العقل فيرى حكمه بالنسبة اليه ، (ومنها) أن ينظر الى المجتمع وغضبهم عليه وبغضهم اياه وعدم ثقتهم به حتى اذا صدق ، (ومنها) ان ينتبه الى إنكسار خاطره وما يجده من المذلة في نفسه عندما يلقب بالقاب الكذب فيجعل حينذاك من نفسه رقيباً على نفسه في المظان التي يحتمل انه سيكذب فيها لكي يكون زاجراً له ومن ثم الكذب فيمكنه الترك انشاء الله تعالى . واختم هذا المقال ببيتين كنت نظمتها قديما وهما :

عليك بالصدق في كل الامور ولا	تكن كذوبا فان الكذب نقصان
فالكذب عاقبة كفر وزندقة	والصدق عاقبة دين وإيمان

محاسن التواضع ومساوى الكبرياء والعجب

إن اكبر الناس قدراً لدى العقلاء واعظمهم شأناً عند ارباب الكمال انسان شريف هذبته مكارم الاخلاق ونقته طهارة الاعراق فاكرم نفسه

بالذوا الشركاءاصـــبح في الانسانية وران شرفه تخفض الجناح لامثاله في البشرية وعامل الناس على اختلاف طبقاتهم وتباين نحلهم معاملة الاخوان وعاشرهم على تغاير مشاربهم معاشرة الارحام .

وإن اصغر الناس قدراً واقلهم قيمة واصلهم وجهاً وابغضهم جانبا هو مخلوق اعجبته نفسه الامارة وسولت له تربيته الرديئة فقوم قامته ومد عنقه ورفع صدره وهذا كناية تكبراً على المخلوقين وتمرداً على الخالق .

التواضع صفة محبوبة تملك من اتصف بها قلوب الاباعد والاقارب وسابقة محمودة يجتلب بها صاحبها مودة الشريف والوضيع وهي اوضح علامة اشرف الشريف واقوى واسطة لنيل الشرف .

والكبرياء والعجب من الاخلاق الذميمة التي تقود من تخلق بها الى الخزي والعار وتنزل به من شاهق العز الى هوة الهوان ، صاحبها مبغوض حتى لدى اهله ومذموم حتى عند اقاربه لا يألف اليه صديق ولا يوجد له حميم .

التواضع تخلص لصاحبه الاصدقاء وتحببه لدى الاعداء ويذلل له الصعاب ويخضع لشرفه الرقاب ، وتكسبه الذكر الجميل واشهره بحسن السيرة واعرفه بطهارة السريرة .

والكبرياء والعجب يسلبان صاحبهما ان كان ذا جمال ، ويخلعان عنه جلباب الشرف ان كان من اهل الشرف ويكسبانه المثالب وان لم يكن من اهلها ويجمعان فيه المعائب وان لم يكن محلها ، تعيره المجالس وتلعنه المحافل يجلب لنفسه غيبة المستغيبين ويعرب منها ريب المرتابين .

الكبرياء هو أن يرى الانسان نفسه فوق غيره فيما يوجب الشرف والاعجاب بالنفس هو ان يكون راضياً من نفسه مؤهلا لها في كل ما يوجب

التعظيم ، فصاحب الكبرياء بني امره على قياس هو فاسد غالباً ، وصاحب الاعجاب امره مبني على الوهم المطلق ، فاذا استند احد المتكبرين في تكبره على نسب معلوم او مقام محسوس او ثروة موجودة استند المعجب نفسه الى امر يرى نفسه انفرد به كعلم مثلا يرى نفسه انه حصله دون الناس أو صناعة يرى نفسه اكمل الخلق فيها وامثالها ، ولذلك قال بعض العقلاء : إن على عيني المعجب بنفسه نظارة مكبرة تعظم في عينه الاشياء الحقيرة المنسوبة اليه .

كثيراً ماينخدع صاحب هذين الخلقين الذميمين انخداعا يتخيل معه انه عزيز النفس ابي الطبع عالي الهمة ولكنه اذا نظر الى حالته الحقيقية ورأى ضعف ارادته لدى شهواته ورغباته وانقلاب احواله وضيق نفسه وانقباض طبعه في الاماكن التي لا يمكنه استعمال صفته المشؤومة فيها عرف انه بعيد عن هذه الاخلاق الكريمة التي لا ينالها الا من كملت محاسنه ونضجت عقليته ، لأن عزة النفس في الانسان هي ان لا يحمل نفسه الذل لا ان يذلل نظرائه في الانسانية لنفسه ، والاباء هو عدم الخضوع للضيم المراد به لاجلب الضيم على الناس ، وعلو الهمة هو أن يطلب الانسان معالي الامور لا ان يكون مترفعاً على غيره بغير حق .

ومن الاناس الذين جمعوا بين الكبرياء والعجب وانخدعوا بهاتين الصفتين الخبيثتين اناس مقتهم المجتمع في عصورهم وسجل لهم التاريخ صفحة سوداء يشتد سوادها بمرور الليالي وتعاقب الايام (منهم) نافع بن جبير ابن مطعم ، ومن حكاياته انه جلس في حلقة العلاء بن عبد الرحمن الحرقي وهو يقرىء الناس فلما فرغ قال : أتدرون لم جلست اليكم ؟ قالوا :

جالس اتسمع ، قال : لا ، ولكني اردت أن اتواضع لله بالجلوس الكم ، ودخل يوما على الوليد بن عبد الملك فقال لخادم بين يديه : سل هذا الشيخ من هو فسأله فتغير وجهه وصاح بالخادم اعرب قبحك الله ، فعاد الخادم الى الوليد فاخبره ، فقال له عد اليه واسأله فعاد اليه فقال له مثل ذلك فضحك الوليد لانه كان بافه كبرياؤه واعجابه بنفسه ، (ومنهم) معبد بن زرارة كان ذات يوم جالسا في طريق فمرت به امرأة فقالت له : ياعبدالله كيف الطريق الى موضع كذا فقال لها : ياهناه مثلي يكون من عبيد الله ، (ومنهم) عبدالله بن ظبيان التميمي قال له مالك بن مسمع مافي كنانتي سهم أنا به أوثق مني بك ، قال وانى لفي كنانتك ، اما والله لئن كنت فيها قائما لاطولنها ، ولئن كنت فيها قاعدا لاخرقنها ، قال : كثر الله مثلك في العشيرة ، قال لقد سألت الله شططا ، ويحكى عنه ايضا انه خطب في البصرة خطبة فاوجز فيها فنادى الناس من اعراض المسجد اكثر الله فينا مثلك ، فقال لقد كلفتم الله شططا ، (ومنهم) ابن سوابة دعا أكاراً بكلمة فاما فرغ دعا بماء وتمضمض به استقذاراً لمخاطبته وقال يوما لغلامه : اسقني ماء فقال نعم وأمر بصفعه ، فقيل له في ذلك فقال : إنما يقول نعم من يقدر أن يقول لا وليس لهذا هذه المنزلة (واعظم من هؤلاء تكبراً واعجابا) حديثه بن الابرش وبلغ من اعجابه بنفسه وتكبره على الناس انه ما نادم احداً طول حياته وكان يقول : إنما نادمني الفرقدان فكان يشرب كاسا ويصب لهما كاسين في الارض ، (ومن المعجبين بانفسهم) اياس بن معاوية قال له اصحابه : مافيك عيب سوى انك معجب فقال أيعجبكم ما اقول ؟ قالوا : نعم : قال فانا احق أن اعجب به .

هذا ولو أن هؤلاء وامثالهم عرفوا قدر انفسهم وتأملوا فطرتهم وجبلتهم وانهم كسائر البشر لافرق بينهم في بشريتهم وبين احقر انسان يتصورونه من الناس لما عاملوا اخوانهم في الانسانية بهذه المعاملات الفاسدة قال الله تبارك وتعالى : (ولا تمش في الارض مرحاً انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا) (١) وقال عز من قائل : (إن الله لا يحب كل مختال فخور) (٢) وقال تعالى : (أليس في جهنم مثوى للمتكبرين) وقال تعالى : (كذلك يطبع الله على قلب كل متكبر جبار (٣) وقال جلت عظمته : (إنه لا يحب المستكبرين) (٤) وقال النبي (ص) : (افضل الرجال من تواضع عن رفعة ، وزهد عن قدرة ، وانصف عن قوة) الحديث وقال « ص » : (من تواضع لله رفعه الله) وقال « ص » . طوبى لمن تواضع ، التواضع احد مصائد الشرف ، من لم يتضع عند نفسه لم يرتفع عند غيره وقال « ص » : (إن الله يقول . الكبرياء ازاري والعظمة ردائي من نازعني فيهما القيته في النار ولا ابالي) وعنه « ص » (البخل والكبر لا يجتمعان في مؤمن) وسئل بعض الحكماء ما التواضع ؟ قال : اخلاق المجد واكتساب الود ، فقيل : ما الكبر ؟ قال : اكتساب البغض ، وقال رجل لاحد العلماء : علمني التواضع فقال إذا رأيت من هو اكبر منك فقل سبقني الى الاسلام والعمل الصالح فهو خير مني ، وان رأيت اصغر منك فقل سبقته الى الذنوب والعمل المسيء فانا شر منه ، وان رأيت من يساويك فانت على بصيرة من ذنوبك ولا علم لك بذنبه قل هو خير مني لاني مذنب ،

(١) سورة الاسراء الاية ٣٧ (٢) سورة لقمان الاية ١٨
(٣) سورة غافر الاية ٣٥ (٤) سورة النحل الاية ٢٣

وقال حكيم الفرس (بزرجمهر) : النعمة التي لا يحسد صاحبها عليها التواضع ، والبلاء الذي لا يرحم صاحبه منه العجب ولو لم يكن في العجب إلا انه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب كما في الحديث لكفاه ذما ، ولو اردنا استقصاء الاحاديث واقوال السلف في ذمه وذم الكبر لاحتجنا الى تأليف كتاب كبير الحجم فيها فلنكتف بما نقلناه لك.

إن الانسان لم يخلق متكبراً ولا معجباً بنفسه وإنما يبتلي بالكبر لامور بسبب ذلك منها انتسابه الى كبير من الكبراء أو علو يد في امارة أو غنى لا يتحمله إناؤه ، وكذلك يضربه العجب بهذه الامور أو بعلم وادب أو جمال أو بكثرة الرجال أو امثالها أو كثرة العبادة وامثالها فاذا حصل له من يمدحه بالمدح الكاذب والثناء الباطل زاد في الطنبور نغمة ، ولذلك لما سمع الرسول « ص » رجلا يزكي رجلا قال له : قطعت مطاه لو سمعها ما أفلح بعدها . إياكم والتمادح فانه الذبح ان كان احدكم مادحا أخاه لا محالة فليقل احسب ولا ازكي على الله احداً . وعلاجها للانسان أن يعود الى عمله ويرجع الى حجاه ويعلم ان هؤلاء الذين يتكبر عليهم عسى أن يكون فيهم من الخصال ماهو اعلى شانا من خصاله التي يتكبر عليهم بها ، وأن ما اعجبه من نفسه ربما كان موجوداً في غيره مع الزيادة ، واذا كان المنشأ النسب وهو لم يساو من انتسب اليه فيما بلغ به المجد فهذه النسبة عار عليه لا شرف له ، واذا كان المنشأ الامارة فهي زائلة غير باقية لا محالة ومثلها المال والرجال والجمال ، وان كان المنشأ العبادة فليتدبر أن عجبه خلاف الغرض المطلوب فيها من الخضوع والخشوع والانكسار والتذلل وهكذا فالرجل الحازم لا يرضى لنفسه ان يكون متكبراً ولا معجباً بنفسه .

الحلم والغضب

قال الحكماء : الحلم هو طمأنينة النفس بحيث لا يحركها الغضب بسهولة ولا يزعجها المكروه بسرعة ، وسأل أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) كبير فارس عما كان الغالب على ابو شروان قال : الحلم والاناة فقال (ع) . هما توأمان ينتجهما علو الهمة ومن هذا المعنى اغترف من قال : علو الهمة أن تحمل النفس المكاره كما تحمل المكارم ، وعرفوا الغضب انه كيفية نفسانية توجب حركة الروح من الداخل الى الخارج للانتقام ، وقيل هو انفعال النفس بأمر يطلب عليه الانتقام ، وسئل بن عباس عن الغضب والحزن أيهما اشد ؟ فقال : مخرجهما واحد واللفظ مختلف فمن نازع من يقوى عليه اظهره غضباً ومن نازع من لا يقوى عليه اظهره حزناً .

للحلم اسباب باعثة على ضبط النفس عند هيجان الغضب منها الرحمة للجاهل والاقتدار على عقوبته والترفع عن السباب والتشنيع وعدم الاعتناء بالمسيء والاستحياء من مشاكلة السفيه وحب الائتلاف والخوف من العقوبة ومراعاة صحبة قديمة او يد سابقة وامثالها ، وللغضب اسباب يجمعها حب الانتقام ودواعيه الحسد والحقد والعداء ووصول الاضرار واشباهها .

الحلم خلق جميل ونعت جليل وصفة تؤهل من اتصف بها للسيادة وترفعه الى اعلى منازل السعادة وتصون عرضه وترجح قدره .

الحلم داعي الوقار ووليد العقل ورسول الكمال وربيب الحكمة ورمز المروءة وعلامة الشرف وعنوان السؤدد .

والغضب أكبر سبب من اسباب العداوة واقوى باعث من بواعث

الشماء يستخف صاحبه بعد وقاره ويجره الى الاذلال بعد عزه يجرئ عليه الصغير ويغري به الكبير لا يستريح له بال ولا يهدأ له خاطر .

المغضوب جاهل وان كان عالماً وناقص وان كان كاملا وحقير وان كان عظيماً ، مملوك وان كان مالكاً ، أي مرتبة سفلى للانسان اذا استسلم لحالة تشبه حالة المجانين حين يخرج من شعوره ويتنزل عن حجاه يضرب ويشتم ويقذف ويسب وينهب ويهم ويستعيب وربما قاده غضبه الى عمل الحرام وقتل النفس المحرمة أو الى الكفر والعياذ بالله .

للغضب قوة سبعية وحالة جنونية تسمى بلسان العرف الحدة والحدة هذه ربما بلغت بصاحبها محلا يقدم فيه على قتل نفسه او قطع شيء من اعضائه وربما ادت به الى اختناق حرارته البدنية واورثه الموت فجأة ، والى هذه الحالة اشار امير المؤمنين « ع » بقوله : الحدة نوع من الجنون إلا أن صاحبها يندم فان لم يندم فجنون مستحكم وقال عليه السلام : قابل الغضب كثير في اذى النفس .

إن الاخبار والآثار الواردة في مدح الحلم وذم الغضب خارجة عن الحصر لكثرتها نقتطف منها ما يأتي :

روي أن جبرئيل عليه السلام نزل على النبي « ص » وقال . يا محمد إني جئتك بآية تجمع مكارم الدنيا والآخرة (خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين (١)) فقال . يا جبرئيل ما هذا ؟ قال : لا أدري حتى اسأل العالم ثم عاد وقال . يا محمد إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك ، وعن النبي « ص » انه قال : إن الله يحب

(١) سورة الاعراف آية ١٩٨

الحليم الحيي ويبغض الفاحش البذي ، وعنه « ص » انه قال ابتغوا الرفعة عند الله ، قيل : وما هي يا رسول الله ؟ قال : أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم عمن جهل عليك ، وعنه « ص » : من حلم ساد ومن تفهم ازداد ، وعن امير المؤمنين « ع » : ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك ، وعنه (ع) اول عوض الحليم عن حلمه ان الناس انصاره ، وعن ابي الحسن الرضا « ع » : لا يكون الرجل عابداً حتى يكون حليما ، وقال رسول الله « ص » : من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه امضاه ملئ الله قلبه يوم القيامة رضا ، وعن السجاد (ع) انه قال : ما من عبد كظم غيظاً إلا زاده الله تعالى عزاً في الدنيا والآخرة ، وقد قال الله : (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين (١)) واثابه الله مكان غيظه ذلك، وعن الصادق (ع) جاء رجل الى رسول الله (ص) وقال . علمني عظة اتعظ بها فقال « ص » : انطلق فلا تغضب ، فكرر السائل سؤاله وكرر النبي (ص) جوابه ، فقال الرجل : قد اكتفيت فمضى الى اهله فاذا بين قومه حرب قد قاموا صفوفاً ولبسوا السلاح فلما رأى ذلك لبس سلاحه ثم قام معهم ثم ذكر قول رسول الله « ص » فرمى السلاح ثم جاء يمشي الى القوم الذي هم عدو قومه فقال : يا هؤلاء ما كانت لكم من جراحة او قتل أو ضرب ليس فيه اثر فعلي وفي مالي أنا اوفيكموه ، فقال القوم : فما كان فهو لكم نحن أولى بذلك منكم فاصطلح القوم وذهب الغضب ، قال الباقر « ع » : إن هذا الغضب جمرة من الشيطان يقذفها في جوف ابن آدم وان أحدكم إذا غضب احمرت عيناه وانتفخت اوداجه

---

(١) آل عمران الآية ١٣٤

ودخل الشيطان فيه ، وقال الصادق عليه السلام : أي شيء أشد من الغضب إن الرجل يغضب فيقتل النفس التي حرم الله ويقذف المحصنة ، وسأل سلمان الفارسي علياً « ع » ما الذي يباعدني عن غضب الله عز وجل ؟ قال : ألا تغضب ، وعن الاحنف بن قيس انه قال : ما عاداني أحد قط إلا أخذت في امره باحدى ثلاثة خصال ، إن كان أعلى مني عرفت له قدره ، وان كان دوني رفعت قدري عنه ، وان كان نظري تفضلت عليه .

الغضب قد يكون من الفضائل في بعض الاحيان ويمدح صاحبه عليه ويثاب وذلك اذا كان الدافع عليه امر بمعروف أو نهي عن منكر أو استباحة حق من حقوق الله أو نصره مظلوم أو ردع ظالم أو أمثال ذلك، وضابطه أن يكون الغضب لله وشرطه القدرة والاستطاعة وإذا لم يغضب الانسان في مثل هذه الاحوال فهو مذموم مأثوم غير محمود عند الله وعند العباد لان عدم غضبه كاشف عن عدم حميته الدينية وعدم مبالاته بالاوامر والنواهي الالهيه .

الغضب حسب ما عرفت من تعريفه كونه كيفية نفسانية هو طبيعي لا يمكن ازالته بالكلية متى اجتمعت اسبابه لكن يمكن تسكينه بامور هي اشبه شيء لتسكين الامراض كالاستعاذه من الشيطان ، وحمله البارى تعالى نفس عبده متفكراً في طاعته طمعا في ثوابه متخوفا من معصيته رهبه من عقابه ، وكالتأمل فيما يترتب إذا غضب من الاضرار الدينيـــة وغيرها وكتذكر فوائد ضد الغضب وما ورد فيه وفي ضده من اخبار أهل العصمة وما تؤول اليه الغضب من الذم وما جاء في ذم الانتقام وثواب العفو وامثال هذه المطالب فانه يزول أو يسكن لا محاله .

العمل

إذا تصفحت صفحات التاريخ لا تجد امة من الامم شرقية كانت أو غربية قديمة كانت او حديثة نجحت في معترك الحياة او فازت في غاية من الغايات إلا بالسعي والعمل والجد والاجتهاد، كما انك لا ترى امة فشلت في حال من الاحوال او خابت في امل من الآمال الا بالكسل والبطالة ، والافراد كالامم تجد فوزها باعمالها وفشلها وخيبتها بتوانيها وكسلها ، وقلما ترى من حصل منهم على مقام رفيع أو وصل الى مركز اجتماعي بالصدفة أو بالحظ والطالع كما يقال ولذلك جاء عن الحكماء إن السعي ناموس النماء والارتقاء وأن الكسل من مقربات الاجل ومن كلامهم الحركة بركة والبطالة هلكة والكسل شؤم ، وكلب طائر خير من اسد رابض ، وقالوا : اذا رقدت النفس في فراش الكسل استغرقت في بحر الحرمان ، وقالوا : الكسل داعية الفشل ومطفأة العمل ومجلبة الاملل ، وقالوا : بالاعمال تعرف الرجال .

إن الله تعالى خلق هذا الكون واودعه اسرارا تندهش بها العقول وتحير الاوهام ونوع كنوز الخيرات وفق ما تحتاج اليه الكائنات ووهب الانسان نفساً مستعدة وعقلا مرشداً وحواساً مسخرة وغير ذلك من المزايا التي فاق بها غيره من المخلوقات ليكتسب تلك الكنوز ويحوز منافعها ويقتطف ثمراتها ويمهد لنفسه مسالك حياته ويهيء اسباب سعادته ويعيش عيشة هنيئة ويحيا حياة طيبة وذلك لا يكون إلا بالعمل .

اثبت العلم وبرهنت التجربة ان الكسل الذي هو ترك العمل موجب لانحطاط الجسم وتعطيل الاعضاء عن وظائفها تؤول الى ضعف الاعصاب

واسترخاء العضلات وبلادة الذهن وخفة العقل وتورث صاحبه الهوان وتجره الى الذل بخلاف العمل فانه ينشط الجسم ويقوي العروق والعصب ويرشد اعضاء البدن الى وظائفها الخاصة بها فيكون العامل ذكيا عاقلا عزيزاً في قومه مكرماً لدى الآخرين .

الحياة ميدان تسابق الاحياء وتنازعهم البقاء ، فمن واصل السعي وكدح في العمل سار قصب السبق وفاز في المضمار ومن تكاسل وتوانى كان نصيبه الحرمان وعاقبته الذل والهوان .

العمل هو الوسيلة العظمى للوصول الى الدرجات الرفيعة والسبب الاكبر للبلوغ الى المقامات العاليه وهو من اهم اسباب حياة البلاد ومن اكبر موجبات نجاح البشرية تظهر فضائل الرجال وتعرف همم الابطال .

إن الامة الصالحة التي تريد الخير لنفسها ولبلادها تعمل بيد واحده ويقوم كل واحـــد من افرادها بما يتمكن على القيام به من الواجبات ويستطيع على اكماله من الاعمال دون فرق بين الغني والفقير والسائس والمسوس ويكون هم الجميع ابـد الحصول على الفوت النهوض باوطانهم والمحافظة على كيانهم .

ادرك الغربيون فوائد العمل فتعلقت به قلوبهم ومالت اليه افئدتهم فبلغوا مابلغوه من التقدم والرقي في هذه الحياة ، ويعود الفضل في ذلك الى الرجال الذين هدوا لهم السبيل وارشدوهم الى كيفية السلوك باقوالهم وافعالهم وعلموهم كيف يعملون واتعبوا انفسهم لتدريبهم على تحمل المشاق في العمل وترك الراحــة الموجبة للكسل . في سنــة ١٨٠٧ م التمس الوزير (دي بور داليس) من الامبراطور (نابليون) أن يصدر امره بحفظ

ايام الأحد وتعطيل الاعمال فيها فكتب (نابليون) على عريضة الالتماس ما يأتي : (ان منع الانسان المضطر عن اكتساب ما يقوم باوده مخالفة للارادة الآلهية والحكومة التي تمنع الناس عن العمل في الآحاد والاعياد ملزمة أن تقدم الى المحتاجين قوتهم . إن آباء الكنيسة انفسهم لا يوجبون تعطيل يوم الاحد إلا على الذين تسمح لهم حالتهم الاقتصادية بالراحة يوما في الاسبوع . إن الله خالق الانسان محتاجا ولم يشأ أن يأكل خبزه الا بعرق جبينه إن الاوامر الاكليريكية نوعان نوع ديني ونوع لا يراد به غير بسط السلطة وامتداد النفوذ ، ولو كانت المسألة منوطة بالحكومة لأمرت الناس بالانصراف الى اعمالهم بعد الصلاة ، انظر الى جميع طبقات الشعب تجد ان بطالة (الاحد) اذا لم تكن ضارة بالآداب فهي ضارة بالاعمال إن الطامات التي يعمل بها في الاديرة لا نستطيع أن نجعلها شرائع للأمة والشعب الذي يأكل في كل الايام يجب أن يشتغل في كل الايام) وقال فيما يخص الاعياد (إن الذي يحزنني ويبعث إلي المادة على المذهب الكاثوليكي كثرة الاعياد والمواسم التي يفرضها القائمون بامر الكنيسة الكاثوليكية ، فهؤلاء القسيسون جعلوا موالد القديسين والاولياء ايام كسل ورقاد وأنا احب أن تعمل الامة لتعيش على انني ابيح للكنيسة أن تحتفل اربعة ايام في كل عام لا اكثر ، فاذا لم يرض الوفد البابوي بهذا فلينفضل علينا بالسفر)

وقال يهدد الموظفين من اشراف مملكته : (في البلاد من يعمل بقلب سليم وهمة وعزم سوى جنودي وضباطي الذين لا ينتسبون الى الامراء والوزراء لاسيما في أن هذه الحقيقة مؤلمة ولكنني لا استطيع انكارها وكل ما يجب أن افعله الآن هو ان اسرح الاشراف والنبلاء

فيذهبون الى اماكنهم تتطلعون في قصورهم الشامخة ، يجب علي أن اخلص نفسي من رفقة هؤلاء الاشراف المتنطعين وابدأ العمل وتجانبي شبان لا يعرفون الكسل والجبن ولا يخشون الردى) ومرض الامبراطور (غليوم) يوما فاشار عليه الطبيب بالبقاء في غرفته اسبوعا كاملا فصاح به قائلا :(دع عنك هذا النصح فاني اذا مرضت مرضت البلاد معي واذا لزمت غرفتي اسبوعا وقف عشرون مشروعاً واستعراضاً واحتفالا ومعرضاً واعتذر بان اشهدها كلها ولذلك اعرض عن نصيحتك لان عاهل الالمان ليس لديه وقت الامراض والعمل بنصائح الاطباء)

وبهذه وامثالها درب الغربيون افرادهم حتى أوجدوا مثـــل (اديسون) مخترع النور الكهربائي والفنوغراف وما يربو على الف اختراع آخر و (جورج ماركوني) مخترع اللاسلكي و (صموئيل فنلي مورس) مخترع التلغراف و (اسكندر غراهام بل) مخترع التلفون و (جورج استيفنسن) مخترع القطار و (يوحنا غوتنبرغ) مخترع الطباعة و (ريشار دار كريت) مخترع ماكنة الحياكة والغزل وامثالهم من الذين زينت صفحات التاريخ باختراعاتهم واكتشافاتهم وعلومهم وفلسفتهم وخدماتهم .

اذا تأملنا في حياة عظماء الرجال للنابهين عامهم واخذ الدرس من اخلاقهم وعاداتهم لانجد فيهم إلا العامل النشيط المفكر الذي لم يكن يمنعه عن غاياته حر أو برد اوجوع او عطش او غيرها من العوائق (فابن رشد الاندلسي) الذي كانت فلسفته سببا للنهضة الاوربية في القرون الوسطى كان لا يعرف راحة من ليالي عمره إلا بالقراءة وباستفادة علما الا ليلتي يوم مماته

ويقال ان مسوداب تأليفاته بلغت عشرة آلاف طبق من الورق واكثرها في الحكمة والفلسفة ، و (اديسون) على شيخوخته كان نومه يراوح بين الاربع والخمس ساعات وكانت بقايا ساعات يومه وليلتـــه تقضى في اعماله التي خدم بها العالم وهكذا بقية العظماء .

إن الرجال العاملين الذين خدموا الانسانية ونظموا شؤون الحياة وتركوا في الدنيا آثاراً خالدة واعمالاً باقية هم احياء بحياة آثارهم لا زالت اسماؤهم تدور على الالسن واعمالهم مواضع التبجيل والاعجاب تفتخر بهم شعوبهم ويعترف بفضلهم حتى الاجانب عنهم . قدموا تلك الاعمال على اقرانهم وفاقوا بسببها ابناء اجيالهم ، فاذا ذكر احدهم في محفل من المحافل كان موضعاً للاحترام وكان الاطراء رديف ذكره والثناء مقروناً باسمه وما ذلك إلا لاعماله التي افاد بها البشر .

إن الدول العربية التي دوخت العالم وسيطرت على الدنيا قروناً عديدة ماسادت إلا بالعمل ، وما زاد شقاء ابنائها إلا ترك العمل والانغماس في الترف حتى اصبح الفرنسي الشهير « مونتسكيو » يقول فيهم : (يظن الشرقي ان الله خلق كل شيء لاجـــله فيقعده هذا الظن عن العمل لذاته ويعتبر شيء من عاداته) أفلا تهز العربي هذه الكلمة وامثالها وينفض عن رأسه غبار الخمول ويعمل الى آخر رمق من حياته لخير بلاده وأمتـــه فعسى أن يعيد شرف الماضين ومجد السابقين والله لا يضيع اجر العاملين .

الكسب الحلال

لما كان الانسان محتاجاً بطبعه الى القوت والغذاء كان عليه السعي

والطلب وراء الحصول على مايحتاج اليه ، والاحتياج هو الذى يدعوه الى ذلك ويحثه على الحركة وعلى استخدام مواهبه فى الطلب ، هــذا ما يحكم به العقل ويقتضيه نواميس الحياة ، وقد جاء فى الكتاب العزيز « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » (١) وفى هذه الآية حث على الطلب وامر بالسعى ايضا ، فمن الواجب المحتم على كل فرد من افراد العائلة البشرية أن يكد ويكدح فى مكسب من المكاسب يضمن قوته ويكفيه امر معيشته لئلا تمسه الحاجة فى ان يكون عالة على الهيئة الاجتماعيــة ومعرضا للاحتقار والاهانة بين افرادها .

ولا يقيم على ضيم يراد به إلا الاذلان عير الحى والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يرثي له احد

خلق الله عز وجل هذا الكون وجعل له سننا لا يتخطاها احد إلا وكان خارجا عن الصواب ومن هذه السنن التسبب باسباب المعيشة التى هى قوام الحياة فمن اراد الحصول على معيشته من غير ان يتسبب باحــدى اسبابها كان نصيبه الخيبة والحرمان وقد جاء فى الحديث : « ان الرجل القاعد فى بيته عن طلب الرزق اذا قال اللهم ارزقنى اجابه جل وعلا ألم آمرك بالطلب » ، وفيه دلالة على عدم استجابة البارى تعالى دعاءه لكونه خالف قواعد الحياة وعارض نواميسها الاعتيادية بجلوســه فى بيته وعــدم تعرضه لاسباب الارتزاق .

الاعمال مفاخر الرجال ، واكل الانسان من كد يمينه دليل على شرف نفسه وعزتها وقرينة على رفعه من الذل والهوان ، وقد جاء فى الحديث :

(١) سورة الملك آية ١٥

ان الكاسب حبيب الله وان الله يحب المحترف ، وان العبادة سبعون جزءاً افضلها طلب الحلال ، وان طلب الحلال فريضة بعد الفريضة وجهاد بعد الجهاد وان من طلب الدنيا استعفافا عن الناس وسعياً على اهله وتعطفاً على جاره لقي الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر ، وان من طلب الرزق من حله ليعول به نفسه وعياله كان كالمجاهد في سبيل الله ، وان من بات كالاً من طلب الحلال بات مغفوراً له ، وان افضل الاعمال الكسب الحلال وان اطيب اكل الرجل ما كان من كسبه وان من اكل من كد يده كان يوم القيامة في عداد الانبياء ويأخذ ثواب الانبياء ويفتح له ابواب الجنة يدخل من ايها شاء ومر على الصراط كالبرق الخاطف .

وقال الرضا عليه السلام : الذي يطلب من فضل الله ما يكف به عياله أعظم أجراً من المجاهد في سبيل الله ، وقال ابو عبد الله عليه السلام لعمر بن يزيد : إني اركب في الحاجة التي كفاها الله ما اركب فيها إلا التماس أن يراني الله اضحى في طلب الحلال اما تسمع قول الله : (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله (١)) قال ابو عمرو الشيباني : رأيت أبا عبدالله الصادق « ع » وبيده مسحاة وعليه ازار غليظ يعمل في حائط له والعرق قد أخذ منه مأخذا فقلت جعلت فداك : اعطني المسحاة اكفك ، فقال لي . اني احب أن يتأذى الرجل بحر الشمس في طلب المعيشة ، ورآه عليه السلام رجل يقال له عبد الاعلى وقد خرج في يوم صائف شديد الحر فلامه على خروجه فقال عليه السلام . ياعبدالاعلى خرجت في طلب الرزق لاستغني به عن مثلك . وقال الامام الباقر عليه

---

(١) سورة الجمعة آية ١٠

السلام : كان امير المؤمنين عليه السلام يخرج في الهاجرة في الحاجة التي كفاها الله يريد أن يراه الله يتعب في طلب الحلال . وقال محمد بن المنكدر : ما كنت اظن أن علي بن الحسين « ع » يدع خلفا هو أفضل منه حتى رأيت ابنه محمداً . خرجت الى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة فلقيني وكان رجلا بدينا وهو متكيء على غلامين فقلت في نفسي سبحان الله شيخ من شيوخ بني هاشم ومن اشياخ قريش في هـــذه الساعة على مثل هذه الحالة في طلب الدنيا أما اني لأعظنه فدنوت منه وسلمت عليه فرد علي بنهر وهو ينصاب عرقا فقلت : أصلحك الله لو جاء اجلك وأنت على هذه الحال ، فقال : لو جائني الموت وأنا على هذه الحال جائني وأنا في طاعة من طاعات الله اكف بها نفسي وعيالي عنك وعن الناس وإنما كنت اخاف لو جاءني وأنا على معصية من معاصي الله فقلت صدقت يرحمك الله أردت أن اعظك فوعظتني .

نفهم من هذه الاحاديث وامثالها ان الكسب من افضل العبادات ومن اعظم الطاعات واكبرها ثوابا وان الدين الحنيف يرشد الناس الى الجد والعمل ويحذرهم الخمول والكسل ، أما ما جاء من أن الارزاق مقسومة وأن الباري تعالى أوجب على نفسه الرزق لعباده في قوله عز من قائل : (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها (١)) الآية وقوله تعالى : (وفي السماء رزقكم وما توعدون (٢)) فلا ينافي ذلك لان أصل الرزق هو غير اسبابه . وتتضح لك هذا فيما حكاه الله من قصة مريم ابنة عمران عليها السلام في قوله جلا وعلا : (وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك

---

(١) سورة هود آية ٦ (٢) سورة الذاريات آية ٢٢

رطباً جنياً (١)) ولولم تكن للمعيشة قواعد ثابتة وانظمة خاصة ونواميس متبعة لأدنى البارى بقدرته اليها الجدع وحمل الرطب فى فمها من غير أن تأمرها بالهز على انه ورد عن النبي « ص » انه قال : ان الله يعطى العبد على قدر همته ونهمته ، وان قسمة الارزاق من العباد تتفاوت بتفاوتهم فى الجد والاجتهاد . وقال تعالى . (وأن ليس للانسان إلا ما سعى (٢)) ومن هذا نعلم بطلان ما تمسك به بعض من يزعم نفسه من اهل الدين وهو ليس منه في شيء من تثبيط عزائم الناس عن الكد والكسب وجرهم الى اوديه الكسل والهوان باسم الطاعة والعباده ويعجبني هنا أن أنقل كلمة الاستاذ المبرور الشيخ محمد عبده المصري وهي .

(لا يعد الشخص براً ولا باراً حتى يكون للناس من كسبه ومن نفسه نصيب فلا يغررن اولئك الكسالى الخاملون الذين يظنون انهم يدركون مقام الابرار بركعات من الحسنة خاليات وسبيحات وتكبيرات وتحميدات ملفوظات غير معقولات وصيحات وهيمات عبير لانغمات باهل المروات من المؤمنين والمؤمنات ثم صيام أيام معدودات لا يجتنب فيها ايذاء كثير من المخلوقات مع عدم مبالاة الواحد منهم بشأن الدين قام او سقط ارتفع أو انحط ، ومع حرصه وتطلعه لما في ايدى الناس واعتقاده الاستحقاق لما عندهم لا لشيء سوى انهم عاملون في كسب المال وهو غير عامل وهم يجرون على سنن الحق وهو مستمسك بسنة الباطل وهم متحلون بحلية العمل وهو منها عاطل هؤلاء ليسوا من الابرار بل يجدر بهم أن يكونوا من الفجار)

ربما يسألنا سائل فما معنى التوكل المطلوب في الشرع بعد هـــذا

---

(١) سورة مريم آية ٢٤   (٢) سورة النجم آية ٣٩

التعصيل ، فنحسبه : أن معناه ليس هو أن يكون العبد كلا على ربه ، بل أن يكون متوكلا أي ينقطع اليه تعالى في جميع ما يأمله من المخاوف وترك السعي فيما لا تسعه قدرة البشر فيأتي بالاسباب ولا يحسب ان الاسباب منه كما في حديث الاعرابي الذي أراد دخول المسجد وناقته بيده وقال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : يا رسول الله أرسل ناقتي توكلا على الله أم اعقلها ؟ فقال « ص » : اعقل و توكل .

الحسد ومضاده :

إني حسدت فزاد الله في حسدي لا عاش من عاش يوما غير محسود
لا يحسد المرء إلا من فضائله بالعلم والحلم أو بالفضل والجود

يقال : حسده حسداً وحساده اي تمنى زوال نعمته وانتقالها منه الى نفسه فهو حاسد والجمع حساد وحسدة وحسد ومن كان طبعه الحسد مذكراً او مؤنثاً فهو حسود وحاسد واسم المفعول محسود ، واذا تمنى مثل حاله دون أن يريد زوال نعمته عنه فهو غابط لا حاسد من غبط غبطاً وغبطة أي تمنى أن يكون مثله ، وفي الحديث (المؤمن يغبط والمنافق يحسد) فالغبطة من الصفات المحموده دون الحسد الذي هو صفة مذمومة واصل الحسد هو نظر الحاسد الى المحسود بعين الاكبار والاعظام فيرى نفسه حقيراً في جنب ما اوتي ذلك المحسود من علم أومال أو غيرهما مما تفضل الله به عليه اراء كده و نعمه في تحصيله فتسول للحاسد نفسه الامارة بالسوء أن يتمنى لنعمة المحسود الزوال ، وربما غامت عليه الوساوس حتى انه يتمنى أو يتطلب انتقال تلك النعمة الى نفسه فتراه يسعى ليله ونهاره للحصول على غاية من الغايات الخبيثة لاحداث ضرر بالمحسود أو ضر ووبال عليه

ويتوسط الجامع والمحاشد ويرفع عقيرته للحط من كراماته بشتيمه مرة وبثلبه أخرى من غير أن يذنب اليه ذنباً أو يعرف نحوه جريمة سوى أن البارى تعالى وفده عليه في الغاية التي لم يبذل هو جهده للحصول عليها أو قصرت يداه عن نيلها ، وهو بهذا العمل ابدى للناس من صفحته ما كان مطوى عنهم ، وهناك من سيره الملأ ما كان خافياً عليهم واثبت لنفسه النقص ولمحسوده الكمال وفي مثل ذلك يقول الشاعر :

إن يحسدوك على علاك فانما متسافل الدرجات يحسد من علا

وقال الآخر :

انى لاعذر حاسديك على العلا وعلاك عذرى لو عذرت حسودا

وقال الآخر :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالناس اعداء له وخصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسدا وبغياً انه لدميم

فاذا تأملت الحال وفكرت في المآل رأيت إن سخط الحاسد الاثيم يعود في الحقيقة على الخالق لا على المخلوق وعلى الرازق لا على المرزوق ، ولذلك جاء في الحديث القدسي : الحاسد عدو نعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي (وفي الخبر) (لا تعادوا نعم الله ، قيل : ومن يعادي نعم الله ؟ قال : الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) ، (وفيه) أن الحسد اول ذنب عصى به الله في السماء واول ذنب عصي به الله في الارض ، فاما في السماء فحسد ابليس لآدم ، واما في الارض فحسد قابيل لهابيل . قال « ص » . دب اليكم داء الامم قبلكم البغضاء والحسد هي الحالقة هي الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر ، والذي نفس محمد بيده لا تؤمنوا

حتى تحابوا ألا انبئكم بامر اذا فعلتموه تحاببتم ، افشوا السلام بينكم وقال : إياكم وثلاث خصال فانهن رأس كل خطيئة إياكم والكبر فان ابليس حمله الكبر على ترك السجود لآدم فاعنه الله ، وإياكم والحرص فان آدم حمله الحرص على أن أكل من الشجرة ، وإياكم والحسد فان قابيل حمله الحسد على قتل اخيه هابيل ، والحاسد جاحد لانه لم يرض بقضاء الله ، وقال « ص » : الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب فلا تحاسدوا وقال امير المؤمنين « ع » : لا تحاسدوا فان الحسد يأكل الايمان كما تأكل النار الحطب ، وقال بعض الحكماء : من رضي بقضاء الله لم يسخطه أحد ومن قنع بعطاء الله لم يدخله حسد .

الحاسد والشيطان في نظر الشرع الشريف بميزان واحد ، فان الباري تعالى امر نبيه بالاستعاذة من الشيطان فقال جل وعلا :

(فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) وامره بالاستعاذة من الحاسد فقال تعالى : (قل أعوذ برب الفلق (١)) الى قوله تعالى : ومن شر حاسد اذا حسد (٢)) وانما كان الحاسد بهذه المثابة لانه يصرف سائر قواه لاتلاف المحسود كما أن الشيطان يصرف قواه لاغواء العباد ، ولذلك ورد في الحديث عن النبي « ص » : (كاد الحسد أن يغلب القدر) .

الحسد داء يعيش صاحبه مضطرب البال مختل الاحوال كثير التعب في هموم وغموم وفكر دائم لانه لا يرضى إلا بزوال نعمة المحسود او انتقالها اليه ، ولقصوره عما يتطلب تضيق نفسه ويخرج صدره وتتغير احواله وتنكد عيشته فاذا طال عليه الامد وحصل له اليأس عن نيله

(١) سورة الفلق آية ١ . (٢) سورة الفلق آية ٥ .

وضعفت قواه وتحكم به الداء وعز عليه الدواء ، وربما مات بهمه وقضى بغمه ، مذموما من المخلوقين ومسخوطاً عليه من الخالق ، يقول امير المؤمنين « ع » : (لله در الحسد ما اعدله بدأ بصاحبه فقتله) ، وقد اخذ هذا المعنى ابن المعتز فقال :

اصبر على كيد الحسود ... فان صبرك قاتله
كالنار تأكل بعضها ... إن لم تجد ما تأكله

وقال الشاعر

إن يحسدوني فاني غير لائمهم ... قبلي من الناس اهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم ... ومات اكثرنا غيظاً بما يجد

وقلت أنا

وذي حسد يطول علي طاماً ... فيجهدني واصبر في بلائه
لعلمي انه سيجيء يوم ... يموت به على غيظ بدائه

وقال الآخر

اني نشأت وحسادي ذوو عدد ... ياذا المعارج لا تنقص لهم عددا
إن يحسدوني على حسن البلاء بهم ... فمثل حسن بلائي جر لي حسدا

وفي الحديث : لا راحة لحسود ولا اخاء لملول ولا صحب لسيء الخلق ، وقال بعض الحكماء : يكفيك من الحاسد انه يغتم عند سرورك ، وقال اكسير كيا به اربعة رجل حديد ، ورجل حسود ، وخليط الادباء وهو غير اديب ، وحكيم محتقر لدى اقوامه ، وقال بعض الحكماء : الحسد يضعف النفس ويسوء العين ويكثر الهم .

صاحب الحسد يقترف الجرائم ويرتكب المآثم من غير ان يشعر

بنفسه طمعاً في نيل اغراضه او طلباً للشفاء من امراضه فيستغيب ويبهت ويكذب وينجر ويتكبر ويغضب ويجزع ويلح ويفسد ويحقد وينافق ويداجي كل ذلك في آن واحد ، وبينما تراه معجباً بنفسه آخذاً في تركيبها اذا هو يتصاغر ويتظلم ويتنفس ويئن ، (قال بعض الادباء) مارأيت ظالماً اشبه بمظلوم من الحسود نفس دائم وهم ملازم وقلب هائم ، وقد نظم ذلك بعضهم فقال :

إن الحسود الظلوم في كرب — يخاله من يراه مظلوما
ذا نفس دائم على نفس — يظهر منها ما كان مكتوما .

ومن دعاء بعض الشعراء لممدوحه قوله :

لامات حسادك بل خلدوا — حتى يروا منك الذي يكمد

إن للحاسد علامات تخصه يعرف بها بين الناس فمن علاماته انه يتملق اذا حضر المحسود ويمدحه بالتمس والتدليس فاذا غاب عنه اخذ يذكره بمعايب ما يرتضيه ويحط من كرامته، ومنها انه ينظر المحسود بعين الحسد ولا يطيل اليه النظر بل يسارقه النظرة بعد الأخرى ، ومنها انه يشمت بزوال نعمة المحسود ويفرح لنكبته ، ومنها انه يكثر ذكر المحسود لدى اشباهه ونظائره وامثال هذه الامور ، وقد قيل :

إن كل عدو يمكن جلب مودته إلا الحاسد فانه لا يرضيه شيء إلا هلاك المحسود ، وقد نظم هذا المعنى من قال :

كل العداوة قد ترجى اماتتها — إلا عداوة من عاداك في الحسد
فان في القلب منها عقدة عقدت — وليس يفتحها راق الى الابد
إلا الإله فان يرحم يحللها — وإن أباه فلا ترجوه من احد

وقال الآخر

إياك والحسد الذى هو آفة فتوقه وتوق غرة من حسد
إن الحسود اذا رآك موده بالقول فهو لك العدو المجتهد

الحاسد لا يصاحب ولا يعاشر بل من الراجح ترك معاشرته ومصاحبته (اما اولا فلان (الطبع مكتسب من كل مصحوب) وطبائع الحاسد كلها شر لاخير فيها كما شرحنا ذلك فيما مر من كلامنا ، فاذا كان الانسان معتمداً على نفسه من انه لا يكتسب منه شراً فانه بصحبته اياه يعرف بالشر بين الناس لان الصحبة نسبة بين صديقين منشؤها ميل طبيعى او كسبى وسببها التجانس والتشاكل ولذلك قيل :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

وقال الآخر :

ولا يألف الانسان إلا نظيره وكل امرئ يصبو الى من يشاكله

وقال بعض الادباء ، وقد فارق صاحباً له اطلع على خبث سريرته :

وقائل كيف تفارقتما فقلت قولا فيه انصاف
لم يك من شكلي ففارقته والناس اشكال وآلاف

(واما ثانيا) فلان صاحب الحاسد غير مأمون من حسده إياه فاذا لم يكن صاحبه مأمونا من حسده فبالأحرى أن لا يكون مأمونا من غوائله ولذلك (قال بعض الحكماء) : إذا سرك أن تسلم من الحاسد فعم عليه أمرك ، وقال بعض العلماء من اراد السلامة من الحاسد فليكتم عنه نعمة الله عليه .

إن من اعظم انواع الحسد حسد الاقارب ولذلك امروا ان

يتزاوروا ، وقال رجل لخالد بن صفوان : إني احبك ، قال : وما يمنعك من ذلك ولست لك بجار ولا اخ ولا ابن عم ، يريد أن الحسد موكل بالادنى فالأدنى ، وقال الشاعر :

لي ابن عم على مافيه من خلق محاسد لي اقليه ويقلني

ازرى بنا انا شالت نعامتنا فخالني دونه او خلته دوني

فان قيل هذا إن الحسد داء فليكن ختام مقالي هذه ذكر الدواء فنقول : اذا آب الى الحاسد رشده وخلعت عقائده ورجع الى الدين القويم عرف ان النعمة من الله تعالى يؤتيها من عباده من يشاء ، وان تمنى زوالها من الناس أو تطلبها لنفسه هو بغي منه فانه تقهر نفسه الأمارة على ترك هذا الخلق السيء ويحملها على ترك ارادتها بالتطبع رويداً رويداً حتى يكون ذلك التطبع طبعا لها لاسيما اذا جاءها من طريق العقل وحذرها من عواقب الويلات التي تجرها اليها هذا الداء الوبيل ، ومن الاضرار المادية والمعنوية المترتبة عليه كنفور العقلاء منه وعداتهم معه ويخدعها بالاستنكاف من هذا الطبع اللئيم وغير ذلك من اشباه هذه الامور .

مفاسد المسكرات

اكبر وبال تجره المرء الى نفسه ، واعظم خطر يجلبه الانسان الى حياته هو أن تعاطى شيئا من المسكرات ، وذلك أن الباري جل شأنه إنما فضل النوع الانساني على شركائه في الجنسية الحيوانية بما وهبه من الادراك يرى الحسن حسنا والقبيح قبيحا ، فاذا تعاطى نوعا من انواع المسكرات افقد نفسه تلك الموهبة العظمى وارتكب ما ترتكبه سائر الحيوانات والبهائم بل يزداد عليها شرا فيأتي ما تأتيه وما لا تأتيه ويفعل من القبيح

ما يفعله وما لا يمكن على فعله ، وكم بلغنا أن فلانا السكير قتل وسرق وزنى ولاط و . و . الخ ولو كان معه عقله لما باشر شيئاً من هذه الموبقات وقد نقل عن بعض اهل الحانات انه سمع واعظا يقول (في الحديث إن من بات سكراناً بات عروساً للشيطان) ، فقال والانسان ايضا فان الذين يصحبون السكارى يفسقون بهم وهم لا يشعرون ، ثم عزز كلامه هذا بمشاهدات رآها بعين رأسه نتنزه عن بيانها اليراع .

السكر عدو العز والشرف وضد الوقار والحشمة وآفة الحياء والامان أي صفة من صفات البشرية تبقى لمن ضيع عقله وفقد ادراكه ينظر اليه الناس بعين الاحتقار ويسخر منه حتى العبيد والاماء ويتراكض بين يديه الصبيان لا يأنف من قبيح فعله ولا يستنكف من فاحشة أتاها اذ ربما يوسد السكران عذرته وافترش بوله وهو لا يعلم ماذا صنع بنفسه ولا يعقل ماذا جرى عليه .

يقول الله جل وعز (إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان (١)) ويقول تعالى : (إنما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر (٢)) ، وسمى الخمر في الاسلام (ام الخبائث ورأس الآثام) بل جاء في تفسير قوله تعالى . (إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم (٣)) إن المراد بالاثم الخمر ، والعرب سمتها بذلك في اشعارهم قال الشاعر :

شربت الاثم حتى زال عقلي   كذاك الاثم يفعل بالعقول

(١) سورة المائدة آية ٩٠   (٢) سورة المائدة آية ٩١
(٣) سورة الاعراف آية ٣٢

وكماها ذلك ذما ، والخمر في الآيتين كل شراب مسكر، قال في القاموس :
(والعموم اصح لانها حرمت وما في المدينة خمر وما كان شرابهم إلا التمر
والبسر) ، والذي يؤيد إرادة العموم ما روي عن الصادق عليه السلام قال
قال رسول « ص » : الخمر من خمسة العصير من الكرم ، والنقيع من الزبيب
والبتع من العسل ، والمزر من الشعير ، والنبيذ من التمر) وجاء في الحديث :
(إن الله لم يحرم الخمر لاسمها ولكن حرمها لعاقبتها فما كان عاقبته عاقبة
الخمر فهو خمر) .

(قلت) فمن هذا يعلم انه لا اعتبار بالاسماء والالقاب في تحريم
المسكرات ، ولا فرق في تحريمها على من اثرت فيه السكر ومن لم تؤثر فيه
لان الحرمة إنما هي في المسكر لا في الاسكار ، والاسكار وان كان شراً
كبيراً لكنه يهون بالنسبة الى الشرور الكامنة في المسكرات .

يقول (بنتام) الانكليزي المتوفي سنة ١٨٣٢ م : (من محاسن
الشريعة الاسلامية تحريم الخمر ، فان من شربها من ابناء افريقيا آل امر
نسله للجنون ومن استدمنها من اهل اوربا زاغ عقله ، فليحرم شربها
على الافريقيين وليعاقب عقابا صارما الاوربيون ليكون عقابا بمقداراً
بمقدار الضرر) .

وقد اثبت العلم اليوم للمسكرات اسرارا لم تكن معلومة من قبل
قال الدكتور (يوحونس) : (اما الخمر فالادمان عليها من مسببات العقم ،
ومن المعلوم ان السكيرين اكثر ما يكونون سمانا) قال : (وقد كتب
ماثيوس دنكان عن عقم المرأة في محاضراته قصة فتاة مدمنة ظلت اعواماً
بلا حمل ولم يكن في جسمها ما يدعو الى هذه العاهة وعولجت بالامتناع

عن الخمر مدة عام فخماً ، ثم قال من دون أن يفرق بين المرأة والرجل ، وهذا مما يعززه رأى (فوربل) من تعليل الخمر للنسل وضرب الامثال لهذه مناطق من روسيا ، فاكثرها ادماناً على الخمر اقلها سكاناً) وقال ايضاً : اسباب الانحطاط من الخمر ومن رأى الاستاذ (لورد برنتس) إن الخمرة تنبه مركز المخ وتضعف مركز العصب وهذا يعزز رأي (شكسبير) انها تهيج الشهوة ولكنها لا تساعد على إتمام العمل ، وقال ايضاً : إن التسمم الغولي (الكئول) هو نتيجة الاستمرار على شرب الخمر سواء كان متتابعاً او منقطعاً وليس هو التأثير الوقتي الناتج عن شرب كمية عظيمة منها في آن واحد المعبر عنه بالسكر الذي يزول اعراضه بمجرد توزيع المشروبات في البنية ، وللادمان على السكر تأثير واضح في الشخص وفي سلالته ، فاما تأثيره على الشخص فمعلوم للمدمنين عليه وغيرهم ، وأما تأثيره على النسل فان الشخص المتسمم به تنتقل سمومه وعلله الى ذريته من بعده فهو خطر عليه وعلى عائلته وذريته معا وعلى الامة والنوع الانساني بالتالي) الى ان قال : (من يولد من ابوين مدمنين وليس هو مدمن فانه يحمل آثار الضعف البني ويكون عرضة للاصابة باضطرابات قد تنتهي بالعته أو السل العام والعقم ، وقد اثبت بالتجارب هذه الوراثة كل من (دومنف) و (مارسيه) و (كووتر) و (لارنج) و (دنجيرين) و (حرنته) و (فورسه) و (لانسروه) و (فيريه) وكثيرون غيرهم ، وبما ان تأثير الخمور يكون بالاخص على المجموع العصبى فاولاد المدمنين يكونون في الغالب عصبيين ويصابون اما بآفات كثيرة في المراكز العصبيه واما باضطرابات في الوظائف العصبية فقط) إلى أن قال : (والوراثة هنا كذلك تأثير قابل على الجنس

وعلى الطفل بعد ولادته حتى انه قد تلاشت بذلك عائلات باجمعها فى عقبين او ثلاثة اعقاب ، وزيادة على ما تقدم من العلل قد تصاب ذريه المدمنين بتشوهات متنوعة كعدم تساوي الجمجمة أو صغرها أو استسقاء الدماغ أو قصر القامة أو تأخر أو انحراف فى نمو القوى العقلية كضعف الذاكرة والبله أو انحطاط الحالة الصبيانية ، وكثيراً ما تصاب كذلك بالهستيريا وما يتبعها من العلل العصبية والنفسية) الى أن قال « وعلى ذلك يجب منع زواج المدمنين على السكر فى حالة الخوف من رجوع الداء اذا لم يمتنع صاحبه من الاستمرار فيه .

« اقول » إن هذه الاضرار التي كشفها العلم اليوم اخبرنا عنها الدين الاسلامي قبل ثلاثة عشر قرنا ونصف فى آية « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما » (١) فانه جل وعلا جمع اضرار الخمر والميسر بلفظ الاثم ، ثم ذكر ان اثمهما اكبر من نفعهما والمراد به كما قاله علماء التفسير : التلذذ ولعب القمار والطرب فيها والتوصل بها الى الفتيان ومعاشرتهم والنيل منهم اوالنفع المالي الذى يحصل من التجارة بالخمر ولعب القمار وليس المراد المنافع الصحيـــة كما ان اشتراك الميسر مع الخمر ، فالذى يتعلل به بعض عشاق السكر من ان فى الخمر منافع صحية فهو غلط محض ولا يوافق ظاهر الآية ولا الاحاديث الورادة بالنهي عن التداوي بالخمر ، وورد ان ليس فيها منفعة صحية وفي م ٢٠ ج ١٢ من المقتطف « مضى علينا عشرون سنة ونحن نجاهر بان الخمور على انواعها غير لازمة للصحة وليس فيها فائدة توازى الضرر الذى يمكن ان ينتج

---

(١) سورة البقرة آية ٢١٩

عنها » الى ان قال « وكان الاطباء الذين نتذاكر معهم في هذا الموضوع يخالفوننا فيه معتمدين على ماطالعوه في كتبهم الى ان قام الطبيب (السر بنيامين تمرد صن » الشهير واثبت بالامتحان في مستشفى الاعتدال بمدينة لندن ان الخمور غير لازمة في العلاج على الاطلاق ، ولم يكد قول هذا العلامة يشيع حتى حذا الاطباء حذوه وصاروا يقولون بقوله » الى آخر ماقال . أما ماذكره الدكتور « بوحوس » من وجوب منع تزويج المدمنين فكذلك جاء في الحديث : « اذا خطب اليكم شارب الخمر فلا تزوجوه » ، وفيه : (من زوج ابنته من شارب خمر فكأنما قادها الى الزنا) ، وورد نص المرأة الراضية بتزويج شارب الخمر والولي الشرعي ان يمنعها من التزويج به ، وهذا من جملة الآيات الاسلامية التي قال عنها الباري تعالى في كتابه : (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) (١) فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

انتبهت حكومات الغرب الى اضرار المسكرات فصارت تقاومها اشد المقاومة ، وفي مقدمة الجميع الحكومة الامريكية فانها حرمت الخمور في بلادها تحريما باتا سنة ١٩٢٠ م وسنت قانونا بخصوص شربها وتطبيق مواد العقوبة الصارمة على من حاول بيعها او شراءها ، وقد بلغ التشديد في الولايات المتحدة ان الاطباء اليوم لا يعالجون المرضى بالخمر وأن المرأة الاميركية الراقية تشترط على من يريد الاقتران بها أن لا يتمتع بشيء من المسكرات وأن لها الخيار في فسخ نكاحها متى خالف الشرط ، والحكومة

(١) سورة فصلت آية ٥٣

الالمانيه قد وافق مجلس نوابها قريباً على ابرام ميثاق (كولوج) القاضي بتحريم الخمر وكانت موافقة المجلس المذكور باكثرية ٢٨٧ صوتا ضد ١٢٧ والحكومة الافرنسيه حددت عدد محلات الخمور وحرمت شربها على من هو دون سن الرشد وقامت في فرنسا جمعيات لمكافحة المشروبات من الاطباء والمتنورين وقد اكدت للحكومة ان اهم اسباب تناقص النسل في بلادهم هي الخمور والفجور بما لا يقل عن الجمعيات الاميركية ويرجى ان يصدر القرار من الحكومة بتحريم المسكرات تحريماً باتا ، والحكومه الايطاليه تعد السكر جريمة وتسجن السكران بعد القبض عليه ، وقد اخذت الاحتياطات لابادة المسكرات في بلادها على ان الايطاليين لا يعدون من المدمنين بالنظر الى غيرهم من الغربيين ، وحكومه سويسرا شددت في منع المسكرات تمام التشديد وانعقدت لديها مؤتمرات لمحاربتها تكللت مساعيها بالنجاح ، ونشرت الصحف قريباً ان حكومة الصين اصدرت لائحة تقضي بالعقاب على كل من شرب الخمر في بلادها وسنه دون العشرين مع عقاب آبائهم والاوصياء عليهم ومن باعهم الخمر ومن الانباء السارة ان جمعيه منع المسكرات التي اسسها في مصر احمدافندي غلوش سنة ١٩٠٥م قد نجحت اليوم نجاحاً باهراً برئاسة مؤسسها وهمة الامير (عمر طوسون) الذي استجاب لها من الحكومه المصريه اعانه سنويه ، وان في بيروت قد تألفت جمعيه لمقاومة المسكرات اقتداء بجمعية مصر .

ولنا الامل الوطيد من أن سائر الحكومات الاسلاميه ستقوم في مكافحة هذه الاخطار وتبيد المسكرات من بلادها بتاتاً وتطهر من ارجاسها بقاعها الشريفه ، اما خضوعا للوازع الديني القاضي بحرمتها او الوازع

العامي القاضي بمحوها وربك لايضيع اجر من أحسن عملا .

مفاسد الغيبة والبهتان والنميمة

الغيبه شرك الشر وشبكه الفساد وبلاء المجتمع وآفه الافراد وداعية الخصومه وبريد النزاع . رب غيبه سببت القتال بين طائفتين وسفكت بها دماء محترمة ، ورب غيبة قتلت نفساً بريئة وفرقت بين الاب وابنه والزوج وزوجته والاخ واخيه ، ورب غيبة هدمت قصوراً عاليه ودكت صروحا شامخه واتلفت اموالا طائلة .

الغيبة اشد من الزنا كما دلت عليه الاخبار ومن افبح انواع الخنا كما نطقت بذلك الآثار ، وهي شيمة من شيم المنافقين وصفة من صفات الضالين ، صاحبها في خزي وعار وذلة واحتقار يستصغره الناس وان كان كبيرا ويستحقره الامة وان كان منصبه خطيرا مذموم بكل لسان ويجتنب شره كل انسان .

الغيبة كبير ذنبها عظيم اثمها شديد عقابها اليم عذابها لان مقترفها يبدى من العيوب ماستره علام الغيوب ويهتك من الاستار ماستره الستار قال الله تبارك وتعالى : (ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب احدكم ان يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه) (١) أي فاكرهوا الغيبه كما كرهتم أن تأكلوا لحوم اموات اخوانكم ، والمراد كما لايحل اكل لحم احدكم ميتا لايحل غيبته حيا ، وعن صاحب الشريعة صلى الله عليه وآله وسلم (كذب من زعم انه ولد من حلال وهو يأكل لحوم الناس بالغيبه فاجتنبوا الغيبة فانها ادام كلاب النار) ، وخطب « ص » يوما فذكر الزنا وعظم

(١) سورة الحجرات آية ١٢

خطره ثم قال « ص » : (إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا اعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل ، واربى الربا عرض الرجل المسلم) وعنه « ص » : (من اغتاب مسلما أو مسلمة لم يقبل الله صلاته ولا صيامه اربعين يوما وليلة إلا ان يغفر له صاحبه) ، وعن ابى عبدالله الصادق عليه السلام : (من قال فى مؤمن ما رأته عيناه وسمعته اذناه فهو من الذين قال الله عز وجل فيهم : (إن الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم) (١) وعنه (ع) : (الغيبة تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب) وعن النبي « ص » : (يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان في قلبه لاتغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو كان فى جوف بيته ، والاخبار كثيرة في ذم الغيبة ذكرنا منها ماذكرناه تبركا بها وإلا فهي معلومة المفاسد يدرك مفاسدها كل من امعن نظره واجال فكره فى نتائجها ومآلها .

الغيبة هي ذكر الانسان المؤمن بما يكرهه اذا بلغه سواء ذكر بنقص في بدنه أو نسبه أو فى خلقه او في فعله وعمله وصنعته او في قوله او فى حركاته وسكناته أو فى دينه أو دنياه حتى في ثوبه وداره ودابته وسواء ذكر باللسان تصريحا او تعريضا او ذكر بالايماء والاشارة او بالكتابة والحركة أو بالغمز والرمز ، وقد ورد أن امرأة دخلت على عائشة فلما ولت أو مالت بيدها اشير انها قصيرة ، فقال رسول الله « ص » : قد

(١) سورة النور آية ١٩

اغتيابها، وسامع الغيبة احد المغتابين إلا ان يردها على ناقلها ، وكذلك من صار سبباً لها مع القصد .

للغيبة بواعث اظهرها الحقد والحسد وربما كان الباعث الاستهزاء أو التمسخر لبعض الجلساء او التقرب الى اضداد من يستغيبه او الاظهار الفضيلة نفسه بتنقيص من اغتابه وامثال هذه الامور وكلها من الموبقات .

اذا ذكر الانسان بما فيه فهي الغيبة ، واذا ذكر بما ليس فيه فهو البهتان كما جاء في الحديث مسنداً عن النبي « ص » انه قال : (الغيبة هي أن تقول لاخيك ما فيه فان كنت صادقا فقد اغتبته وان كنت كاذبا فقد بهته) والبهتان اشد من الغيبة كما قال الله تعالى (ومن يكسب خطيئة او اثماً ثم يرم بريئاً فقد احتمل بهتانا واثماً مبيناً) وعن النبي « ص » : (من بهت مؤمنا أو مؤمنة وقال فيه ما ليس فيه أقامه الله على تل من النار حتى يخرج مما قاله فيه) .

وشر من الغيبة والبهتان النميمة وهي نقل الغيبة الى اهلها لانها تؤول الى تقاطع المتواصلين وتباعد المتقاربين وتباغض المتحابين وقد جاء عن النبي « ص » : (ألا اخبركم بشراركم قالوا : بلى يارسول الله ، قال من شراركم المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون العيوب) ، وقبول النميمة لا يقل عن النميمة شراً لان النميمة دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء كمن قبله واجازه ، كان رقبة بن مصقلة جالساً مع اصحابه فذكروا رجلا بشيء فاطلع ذلك الرجل فقال بعض اصحابه : ألا اخبره بما قلنا فيه لئلا يكون غيبة ؟ قال اخبره حتى يكون نميمة ، ولله در القائل :

لا تقبلن نميمة بلغتها ... وتحفظن من الذي انبأكها
لا تمشين برحل غيرك شوكة ... فتقي برجالك رجل من قد شاكها
ان الذي أنباك عنه عيبه ... سيذيب عنك بمثلها قد حاكها

إن الفاسق المتجاهر بالفسق المتبجح باعماله المذمومه تجوز غيبته في تلك الاعمال لبس غير ، فقد ورد في الحديث (لا غيبة لفاسق) ، وروى عنه « ص » : (من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبه له) ووردت الرخصه في تظلم المظلوم من ظالمه لدى من يأخذ له بحقه، وفي نصح المستشير وجرح الشاهد والقدح في باطل، والشهادة على مرتكب الحرام وضابط هذه الرخصة هو كل مقام يكون هناك غرض صحيح يتوقف حصوله عليها ، وكفارة الغيبة هي التوبه والندم للخروج من حق الله ، واما من اغتابه فان كان حيا ولم تبلغه الغيبة ويمكن من الوصول اليه مع الامن من وقوع الفتنة والعداوه فعليه أن يجتمع معه ويعتذر منه عما يحلف به عفوه فان لم يعف فهذا الاجتماع والاعتذار يحسب كفارة الغيبه ، وكذلك إن بلغته مع الظن بهذا الامن ، واما اذا كان ميتا أو حيا واحتمل وقوع الفتنة والعداء فيكفي في ذلك الاستغفار له والدعاء في مظان الاجابة ولبس عليه اخباره ، وهذا كله مستفاد من الاصول الشرعية .

إن الغيبـــه واخواتها امراض اخلاقية يمكن علاجها كسائر الامراض ، وطريقة علاجها وتركها هو الرجوع الى العقل من تذكر ماجاء في ذمها عن الله تعالى ورسوله وخلفائه ، والتأمـــل في مفاسدها وفوائد اضدادها والاستنكاف من اتصافه بهذه الصفة المذمومه وامثال ذلك فانه يترك حينئذ حالته هذه ولا يعود اليها اذا ساعده التوفيق إن شاء الله تعالى .

مساوىء القمار

القمار مرض من الامراض الاجتماعيه وداء من الادواء الاخلاقيه سرت كريانه الفتاكة في جسم جماعـة من الناس وجرت سمومـه القتاله فى عروق طائفة من الافراد، ومما يورث الدهشة انه على شدة وضوح سيئاته لم يزل آخذاً به الجاهل والمتعلم والفقير والغني فى حين انهم ينظرون الى غيرهم من المقامرين الذين كانوا في امسهم يعدون من ذوى الثروه واليسار قد اضاعوا نعمتهم واصبحوا فى اسر الفقر والفاقة .

اعرف كثيراً من الشبان كانت نشأتهم في ترف وبذخ خلف لهم آباؤهم اموالا طائله واملاكا جسيمه تمد عوائدها بالالوف ساقتهم انفسهم الامارة الى دور المقامره وتولعوا بلعب الميسر فما مرت عليهم الا ازمان قليله حتى نفدت اموالهم وانتقلت املاكهم الى غيرهم وآل الامر ببعضهم أن جلس مراراً على السرقة اذ جره الافلاس الى اللصوص .

واعرف رجلا كان من اهل الثروه قد اتلفت ثروته تلك الالعاب المشؤمه حتى اثاث بيته (ما كان له وما كان لاهله) وفي دوره الاخـيـر قامر على زوجته ولما بلغها الخبر رفعت امره الى الشرع ولم تدنه المرافعـه بينه وبينها حتى سمعنا انه نحر نفسه وأراح الله حليلته المطلومة من شره ، ومثل هذين الوف من المقامرين خسرت صفقتهم وما ربحت تجارتهم ،

اذن فما بال من يترددون الى بيوت القمار ويتهافتون على موائـــده المسمومه يرون مثل هذه الاحوال ولا يتعظون .

يمكن أن يقال ان هنالك اسبابا قـــد زينتها لهم نفوسهم الاماره ، (منها) الطمع السائق الى تحصيل المال عفواً من غير كد وتعب ، فاذا

كانت الغلبة لهم اندفعوا بدافع الاثرة الى الاستمرار فى اللعب ، واذا كانت لغيرهم عادوا اليه بداعى الانتقام ، (ومنها) قصد اللهو عند البطالة وترويح النفس لدى اوقات الفراغ أو قصد التفرج على المقامرين فينجر الامر الى الوقوع في حمأة الاثم ، (ومنها) تجربة البخت كما يقال ذلك حيث يحضرون مجالس المقامرة وينظرون الى الغالب والمغلوب فيقصدون التجربة فتنشب بهم ذلك المرض القتال ، وقد قيل : المقامرة لجة يغرق الغائص فيها لامحالة لانها لاقرار لها ولا ساحل ، ووجد مكتوب على بيت من بيوت القمار ، إن لهذا البيت بابين باباً للأمل وباباً للهلاك ، يدخل فيه من الاول ويخرج من الثاني ، ويقول المستر (بيتش نير) الانكليزى وهو اشهر المقامرين في اوربا في اول مقال له : (ليس القمار سوى مضيعة لوقت الرجل ومفسده لاخلاق المرأه) ، ويقول في الختام : (صدق القائلون ان منتديات القمار هي قبور للفضيله) .

يخرج المقامر من بيته ومعه النقود ذهباً وفضة وورقا وهو ضاحك مستبشر ويعود صفر اليدين وقد امتلاء فؤاده هماً وغماً وحزناً على مافرط به من الاموال لاينظر الى بيته ولا يلتفت الى اهله وولده بل انه يمشي الى فراشه يتعاب عليه تقلب السليم ويتأمل فوقه تأمل السقيم آيساً من رحمة الله متفكراً كيف ينتقم ممن سلبه نقوده وبأية حيلة يستعيد ما اخذ منـــه .

يقول الله تبارك وتعالى : (إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمـل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن

الصلاة فهل انتم منتهون) (١) الميسر كل ماتقومر به حتى الكعاب والجوز ، والانصاب كل ما ذبحه المشركون لآلهتهم ، والازلام قداحهم التي كانوا يستقسمون بها كما في الحديث .

قرن الله هذه الالعاب المشؤومة بأم الخبائث وهي الخمر ، وبآثار الشرك وهي الانصاب والازلام ، ثم نعتها بكونها رجساً من عمل الشيطان والرجس قيل هو القذر وعن الفراء هو العقاب والغضب كما قال تعالى : (فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور) (٢) ثم امر المؤمنين بالاجتناب من ذلك الرجس مترجيا فلاحهم بالامتثال . واما قوله تعالى : (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء) (٣) الآية ، ففيه اشارة الى ماينجم من هذه الالعاب من الضرر الاجتماعي والضرر الديني ، أما العداوة والبغضاء بين المقامرين فمن الامور الضرورية التي لا تحتاج الى بيان (*) لأن الشره والطمع وحب الاثرة التي هي من اقوى الاسباب

(*) نقل المستر بيلس المقامر الشهير قال كانت « ونترو » الحسناء الشهيرة اعظم المقامرات اللواتي عرفتهن وكانت (لبان دي بوجي) منافستها في الحال من اعظم المقامرات ايضا ولا اعتقد أن التاريخ عرف امرأتين اشد اندفاعا في الميسر من هاتين المقامرتين ، والمعروف ان حبهما للميسر جعلهما من اشد الاعداء ، يروى عنهما انهما تقابلتا مرة في (مونت كارلو) فكانتا كعادتهما متوادتين في الظاهر وعدوتين في الباطن وكانت كل واحدة منهما تترقب الفرصة لتسمع الاخرى قارصة من الكلام ، واتفق أن (لبان) قامرت بوضع مبلغ كبير من المال على الرقم (١٨) على مائدة (الروليت) —

(١) سورة المائدة آية ٩٠ – ٩١ (٢) سورة الحج آية ٣٠
(٣) سورة المائدة آية ٩٠

الدافعة الى القمار تدعو المقامر الى طلب الازدياد او قهر الخصم والظهور عليه دائما ان كان غالباً والى ادراك ما ذهب منه والانتقام من الغالب ان كان مغلوباً ، وان هذه الدواعي تولد الاضغان وتخلق العداوات وربما سببت الجرائم مضافاً الى التحاسد والتنافس الكامنين بين المقامرين ذاهباً وعائداً .

وأما الصد عن ذكر الله وعن الصلاة فان المتولع باللعب ، المفكر في الاحتيال على غيره من يمر في خياله أو يخطر بباله أن له رباً او هناك فريضة يجب اداؤها .

هذا بعض مساوىء القمار وبعض امثالها اضعافاً مضاعفة .

الغيرة على الاعراض :

الغيرة بالفتح اسم مصدر من قولهم غار الرجل على امرأته غيرة

ـ فربحت ربحاً عظيماً وكانت منافستها (وبيرو) جالسة الى جانبها فهنئتها بهنئة علمت « ليان » انها غير صادرة عن اخلاص وقالت لها بالحس حظك يا عزيزتي ليان ما الذي الهمك لاختيار الرقم (١٨) ؟ فاجابتها (ليان) متبسمة . الهمني الى ذلك ان اليوم هو يوم عيد ميلادي وقد بلغت الثامنة عشرة فاخترت الرقم الذي يدل على سني . فقالت لها (وبيرو) . الله انها فكرة حسنة وساجربها انا ايضاً ! فاجابتها (ليان) يا عزيزتي لا تتعبي نفسك فان الرقم (٣٦) لم يربح اليوم ولا مرة وتأمل اذ ذاك الغيظ الذي بدت آثاره على وجه (وبيرو) ولكنها كتمت ما في نفسها واقسمت ان تنتقم من ليان حتى سنحت لها الفرصة وقيل ان تلك الفرصة سنحت لها غير مرة وانتقمت منها .

وغيراً كلاهما بالفتح أي احذته الحمية وأنف وكره أن يشاركه فيها غيره ، فهو غيران وغيور والجمع غياري وغياري بالفتح والضم وغير كرسل ومغاير ، وغارت المرأة على زوجها فهي غيور وغيرى ، والجمع غير كما في المذكر وغياري بالفتح لبس غير .

الغيرة قوة نفسية يثيرها الميل الطبيعي في الغائر الى ما يغار عليه وهي غريزة في الانسان وهل تختص به أو يشاركه فيها غيره من انواع الحيوان، ذكروا أنها توجد في بعض الحيوانات واستشهدوا على هذا الادعاء بشواهد كثيره لا نرى فائدة من نقلها ، وتنقسم الغيرة اقساماً حسب انقسام الامر الذي ينبغي أن يغار عليه الانسان بمقتضى ميله الطبيعي ، وموضوع كلامنا في مقالنا هذا هو الغيرة على الاعراض .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (الغيرة من الايمان) ، وقال (ص) : (كان أبي ابراهيم غيوراً وأنا اغير منـــه وارغم الله انف من لا يغار من المؤمنين) وقال « ص » : إني لغيور وما من امرىء لا يغار إلا وهو منكوس القلب) .

خلق الله عز وجل هذه القوة النفسية (الغيرة) في النوع الانساني حفظاً للنظام وصيانة من اختلاط الانساب وتداخل المواريث ووقاية من الفتن ومنعاً للفاحشة ، وقد قال الحكماء : كل امة وجدت في رجالها الغيرة كانت في نسائها الصيانة ، وقالوا : لا ينشأ الفساد في الامم إلا من تبذل النساء وتساهل الرجال . وقالوا لولا غريزة الغيرة لما عرفت الآباء .

الغيرة علامة الرجولة وصفة الفحولة ونعت اباة الضيم ونفاة العار وارباب الشرف الباذخ وطلاب المجد الخالد ، والغيور من يغار على الاعراض

سواء كانت مرتبطة به كأهله واقاربه او لم تكن كأعراض الاباعد من سائر الناس ، فلا تسمح له نفسه الكبيرة بانتهاك شيء منها وتنهض به حميته الوقادة اذا رأى من شوى لها سوءاً أو بقصد بها شراً ولذلك قيل : (كل غيور عفيف) ولعل هذا مأخوذ من كلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) (ما فجر غيور قط) وظاهر اللفظ انه صلوات الله عليه يريد أن الغيور تمنعه غيرته الغريزية على الاعراض أن يسلط هو نفسه عليها تسليطاً غير مشروع ، وربما يقال ان الغرض هو كون الغيور يعلم ان من فجر بالناس فجر به وأن من طرق باب الناس طرق بابه ، فيجتنب الفجور وفي الحديث : (من وطأ فراش امرىء مسلم وطىء فراشه ومن زنى زني به (١)) .

للسيد المرتضى علم الهدى رضي الله عنه :

من كشف العوره يرتى بها   لابد أن يكشف عن عورته

وكان العرب في الجاهلية والاسلام اهل غيره وحمية على النساء وكان الشعراء منهم يفتخر بذلك قال قائلهم :

(١) قد يقال ان هذا لا يجتمع مع قوله تعالى : (ولا تزر وازرة وزر أخرى (١)) فان المرأة البريئة في مثل هذه الاحوال تؤخذ بذنب الرجل الجاني (الجواب) ان المراد من هذه الاحاديث أن الرجل الزاني يبتلى بامرأة زانية تكون زوجة له لا أن امرأته تزني بتقدير الله لكون زوجها زانياً . وأما ما ورد في الحديث (لا تزنوا فتزني نساؤكم) فالمراد انهن يتعلمن منكم الزنا فيزنين . وربما يجاب ان الذنب الذي تقترفه زوجة الرجل الزاني بسببه يكون في عاتق زوجها الذي كان سبباً لاقترافها إياه وفيه نظر لا يخفى .

(١) سوره الانعام آية ١٦٤

ناري ونار الجار واحدة والیه قبلي ينزل القدر

ما ضر جاري إذ اجاوره أن لا يكون لبيته ستر

فاغض عيني ما جارتي خطرت حتى يواري جارتي الخدر

ومما نقله المؤرخون أن خالد بن عبدالله القسري بلغه وهو يومئذ امير مكة في خلافة سليمان بن عبد الملك قول بعض الشعراء :

يا حبذا الموسم من موقف وحبذا الكعبة من مسجد

وحبذا اللائي يزاحمننا عند استلام الحجر الاسود

قال : اما إنهن لا يزاحمنك بعدها ابداً ، وأمر بالتفريق بين الرجال والنساء في الطواف واجلس عند كل ركن من اركان الحجر الاسود حراساً معهم السياط يفرقون بينهم .

الغيور يتأثر بكل أمر ينافي الغيرة ويكدره كل شأن يخالف المروءة ويستهجنه الاحوال المخالفة للآداب العامة ، ويرغب في الطهارة من الادناس والنزاهة من العيوب ، ويسعى في محو البدع والمخازي من اوطانه ، ويرى سعيه هذا من اكبر الخدمات لامته .

ومن الامور التي يهتاج لها الغيور وتتحرك لها غيرته الطبيعية عند رؤيتها هذا التبرج الممقوت الذي اوجدته الظروف الحاضرة في البلاد الاسلامية المقدسة وتمادت بارسانه بعض ذوات الترف والبذخ من النساء اللاتي مهدت لهن السبيل حركات رجال التجدد المخترع ، تخرج الفتاة منهن وقد لبست تلك الاثواب القصيرة التي لا تحاذي ركبها مكشوفة العنق والساعدين تختال في مشيتها اختيالا وتمايل في احتباكها دلالا قد تزينت بانواع الزينة وتجملت بضروب الجمال كأنها لم تكن من اللواتي خاطبهن

البارى تعالى بقوله : (وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى (١)) ، وهنالك فئة من الشبان الساقطين قد زينوا بزينتها ، (وإن شئت فقل) قد استحسنوا الانوثة فاتخذوها جمالا لانفسهم اخذوا يتممون اثر هذه الفتاة يخالسونها النظرة بعد النظرة معجبين بها وبانفسهم وربما فاتحوها بعض الحديث (والحديث شجون) ، وهنالك تكثر الابتسامات وتزداد الحركات الفتانة وكم وكم من عفاف هتك في مثل هذه الاحوال وشرف ابيح فى نظير هذه الموارد .

نظرة فابتسامة فسلام ❊ فكلام فموعد فلقاء

ومن هذه الامور المحافل التي عرفتها البلاد الاسلامية حديثاً كالمراقص المعدة لنساء تفرين من بلادهن وصرن يتجولن في الانحاء لسلب اموال البسطاء من الناس ، وكدور التمثيل التي تمثل فيها الروايات المخالفة للآداب كرواية (غادة الكاميليا) لدوماس الصغير ورواية (رازا) لاميل زولا ، ورواية (علاقة القس بالعناد) وامثالها من الروايات التي لا نجد لها مغزى غير فساد الاخلاق وسحق روح العفة ، واما الكتب التي دونت فيها هذه المخازي والصور التي تصور النساء المتجردة والبطاقات الهتاكة وامثالها من التماثيل المحبوبة لدى سفهاء القلوب من الذين يرون انهم اخذوا باهداب المدنية باخذهم بها ، اما هذه فحدث عنها ولا حرج ، وليس للغيور اذا وقف امام تيارها إلا أن يتلو قوله تعالى عن لسان لوط (لو أن لي بكم قوة (٢))

ومن هذه الامور وجود بيوت الفحشاء بين اظهر ذوى الحمية من المتدينين وتسهيل سبل الرذيلة لطالبيها بسبب تلك البيوت وعدم عدها من

---

(١) سورة الاحزاب آية ٣٣ (٢) سورة هود آية ٨٠ .

الامور المنكرة عند البعض من الناس فترى الشبان يترددون على تلك المحال المشومة من غير ان يمنعهم مانع او يردعهم رادع ينقلون في احضان البغيات ويثقلون منهن الامراض السارية الى الابرياء مع كونها مهلكة لهم لامحاله وقد دلت الحوادث ان الغالب من الشبان يعلق بهم المرض السارى في اول يوم ينزلون فيه عن طهارتهم فان البغايا بسبب اختلاط المياه المختلفة في ارحامهن يحملن انواع الامراض ومن تلك الامراض « السيلان » الذي يقول فيه الاستاذ (اميرواريارنه) يجب ان لايهمل السيلان لان اهماله ينتج عنه امراض خطرة بعضها تمتنع الشفاء يسيل منها مادة سامة بدون انقطاع وينجم منها احيانا احتقان البول الذي يعقبه الموت غالباً (منها) (القرحة الزهرية) وهى في الغالب تتلف عضو التناسل (ومنها الزهري) الذي يقال له التشويش وهو مرض ذو انواع قاتل يسري بسرعة ويؤثر في النسل وبالجملة فبوت البغاء من اكبر الاوبئة الخطره على الافراد والمجتمع

الرجل الغيور يتأثر بجميع ماذكرناه من الامور ويكدر صفاء عيشه كل مطلب من هذه المطالب ويود ان لايراها بعينه ولا يسمع بذكرها وتلتهب احشاؤه من حوادثه من رأى شيئاً منها ولكن ماذا يصنع والناس عنها غافلون وهل نجد اناساً من العاملين ينهض بهم حميتهم لمكافحة هذه المصائب المبيدة وتتحرك بهم غيرتهم لتطهير البلاد الاسلامية منها وربك لايضيع اجر من احسن عملا .

مضار الزنا واللواط ومفاسدهما

الزنا واللواط مرضان من الامراض الاجتماعية يفتكان بمن تعاطاهما من الافراد فتكا ذريعا ويقوضان اركان المجتمع تقويضا سريعا ويحدثان

الفتن والبغضاء بين الناس ويضيعان الذرية وحقوقها ويخلان بالآداب الاجتماعية ويقطعان روابط المحبة واسباب المودة ويهدمان المجد والشرف وربما سفكت بها الدماء واستبيحت الاموال وهذا كله من الامور الواضحة التي لا تحتاج الى شرح ولا تفتقر الى بيان .

كم من رضيع وجد مطروحا على ابواب المساجد ومكبوبا في الطرقات وملقى على المزابل يبكي بصوته الخفي فيشجي المارة ويحزن عابري السبيل وكم من طفل عثر به مقتولا او مخنوقا او مجروحا قذفته الايدي القاسية في الماء الجاري او على حافته واذا فتشت عن الذنب لا تجد هنالك ذنبا سوى ان شخصين قضيا بينهما لذة ملعونة اوجدت هذه النفس التي تجاسرا على ازهاقها .

وكم من بيت عريق في الشرف وقديم في المجد لحق به العار والتصق به الخزي وانتكست رؤوس اهليه حياء وخجلا وامتنع الناس من نكاح نسائه وانكاح رجاله بسبب زنا او لواط كان لفرد من الافراد المنتسبين اليه .

وكم من طائفة اقتتلت مع طائفة اخرى وذهبت عشرات النفوس ان لم تذهب مئات ولا سبب هنالك الا وقوع عمل من هذين العملين القبيحين ممن ينتسب لاحدها . وكم . وكم . وكم الى ماشاء الله

والآيات القرآنية والاحاديث النبوية في تحريم الزنا واللواط كثيرة جداً فمن الآيات في الزنا قوله تبارك وتعالى في وصف المؤمنين ومنه نعلم ان الزاني حينما يزني ليس بمؤمن (والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاماً

يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا من تاب) (١) الآية وقال عز من قائل : ﴿ ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا ﴾ (٢) وقال جل جلاله في آية أخرى : ﴿ انه كان فاحشة ومقتاً ﴾ (٣) والمقت البغض أو شدة البغض ، وإنما سمي مقتاً لشدة نفرة النفوس العاقلة منه ، ومن الآيات في اللواط الآيات الواردة في ذم قوم لوط وعقابهم منها قوله تعالى : (اتأتون الذكران من العالمين وتذرون ماخلق لكم ربكم من ازواجكم بل انتم قوم عادون) (٤)وقوله عز من قائل : (ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين) (٥) فسمى جل وعلا إتيانهم الذكور بالخبائث ثم ذمهم بكونهم قوم سوء فاسقين ، وفي الآية الاولى بانهم عادون أي متناهون في الظلم أو في الفجور .

ومن الاحاديث في الزنا قوله « ص » : (يامعشر الناس إتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة ، أما التي في الدنيا فانــــه يذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر ، وأما التي في الآخرة فسخط الله وسوء الحساب وعذاب النار ، وعنه « ص » . (من وقع على امرأة لاتحل له اشهوة جاء يوم القيامة مغلولة يداه الى عنقه) وعنه (ص) في حديث : (تفتح ابواب السماء نصف الليل فلا يبقى مسلم يدعو بدعوة إلا استجاب الله عز وجل له إلا زانية تسعى بفرجها وعشار) وعنه (ص) في احاديث عديدة مختلفة الالفاظ متفقة المعاني : « إن من زنا نزع منه

---

(١) سورة الفرقان ايه ٦٨ - ٦٩ (٢) سورة الاسراء آيه ٣٢
(٣) سورة النساء آيه ٢٢ (٤) سورة الشعراء آيه ١٦٥-١٦٦
(٥) سورة الانبياء آيه ٧٤

الايمان » ، ومن الاحاديث في اللواط ماروي عنه « ص » في حديث طويل : (ملعون من عمل عمل قوم لوط) قالها ثلاثا وعنه « ص » : (ثلاثة لاتقبل لهم شهادة أن لا إله الا الله، الراكب والمركوب والراكبة والمركوبة والامام الجائر) وعنه « ص » : (اربعة يصبحون في غضب الله تعالى المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال ، والذي يأتي البهيمة والذي يأتي الرجال) ، وامثال هذه الاحاديث كثيرة جـــداً .

الزنا يشتمل على انواع من المفاسد عدّها اهل العلم ونحن نذكر منها المهات حسب ماشرحه بعض أهل التحقيق .

١ — اختلاط الانساب واشتباهها فلايعرف الانسان أن الولدالذي اتت به الزانية أهو منه أو من غيره ? فلا يقوم بتربيته ولا يستمر في تعهده وذلك يوجب ضياع الاولاد وذلك يوجب انقطاع النسل وخراب العـــالم .

٢ — انه اذا لم يوجد سبب شرعي لاجله يكون هذا الرجل أولى بهذه المرأة من غيره لم يبق في حصول ذلك الاختصاص الا التواثب والتقاتل وذلك يفضي الى فتح باب الهرج والمرج والمقاتلة ، وكم سمعنا وقوع القتل الذريع بسبب إقدام المرأة الواحدة على الزنا .

٣ — إن المرأة اذا باشرت الزنا وتمرنت عليه يستقذرها كل طبع سليم وحينئذ لاتحصل الالفة والمحبة ولا يتم السكن والازدواج ، ولذلك فان المرأة اذا اشتهرت بالزنا تنفر عن مقارنتها طباع اكثر الخلق

٤ — انه اذا انفتح باب الزنا فحينئذ لا يبقى لرجل اختصاص بامرأة وكل رجل

عكذه التوائب على كل امرأة شاءت وارادت وحيئذ لا يبقى بين نوع الانسان وبين سائر البهائم فرق في هذا الباب .

٥ — إنه ليس المقصود من المرأة مجرد قضاء الشهوة بل ان تصير شريكة الرجل في ترتيب المنزل واعداد مهماته من المطعوم والمشروب والملبوس وان تكون ربة البيت وحافظة للباب وقائمة بالامور وهذه المهمات لا تتم إلا اذا كانت مقصورة الهمة على هذا الرجل الواحد منقطعة الطمع عن سائر الرجال وذلك لا يحصل إلا بتحريم الزنا وسد هذا الباب بالكلية .

٦ — إن الوطىء يوجب الذل الشديد والدليل عليه ان اعظم انواع الشتم عند الناس ذكر الفاظ الوقاع ، ولولا أن الوطىء يوجب الذل لما كان الامر كذلك وايضاً فان جميع العقلاء لا يقدمون على الوطىء إلا في الاماكن المستورة وفي الاوقات التي لا يطلع عليها احد ، وان جميع العقلاء يستنكفون عن ذكر ازواج بناتهم واخواتهم وامهاتهم لما يقدمون على وطأهن ، ولولا أن الوطىء ذل لما كان كذلك ، وفي اللواط موجبات للقبح نذكرها حسب مافصلها المحقق الآنف الذكر (١) إن اكثر الناس يحترزون عن حصول الولد لان حصوله يحمل الانسان على طلب المال وإتعاب النفس في الكسب إلا انه تعالى جعل الوقاع سبباً لحصول اللذة العظيمة حتى أن الانسان لطلب تلك اللذة يقدم على الوقاع وحينئذ يحصل الولد شاء أم أبى ، وبهذا الطريق يبقى النسل ولا ينقطع النوع ، فوضع اللذة في الوقاع كشبه الانسان الذي وضع الفخ لبعض الحيوانات فانه لا بد وأن يضع في ذلك الفخ شيئاً يشتهيه ذلك الحيوان حتى يصير سبباً لوقوعه في ذلك الفخ ، فوضع اللذة في الوقاع يشبه وضع الشيء الذي يشتهيه الحيوان

في القبح والمقصود منه ابقاء النوع الانساني الذي هو اشرف الانواع . اذا ثبت هذا فنقول لو تمكن الانسان من تحصيل تلك اللذة بطريق لا يفضي الى الولد لم تحصل الحكمة المطلوبة ولأدى ذلك الى انقطاع النسل وذلك على خلاف حكم الله فوجب الحكم بتحريمه قطعا حتى تحصل تلك اللذة بالطريق المفضي الى الولد ، (٢) إن الذكورة مظنة الفعل والانوثة مظنة الانفعال فاذا صار الذكر منفعلا والانثى فاعلا كان ذلك على خلاف مقتضى الطبيعة وعلى عكس الحكمة الآلهية . « ٣ » الاشتغال بمحض الشهوة من عمل البهائم فاذا كان الاشتغال بالشهوة يفيد فائدة اخرى سوى قضاء الشهوة فليكن قضاء الشهوة من المرأة يفيد فائدة اخرى سوى قضاء الشهوة وهو حصول الولد وابقاء النوع الانساني الذي هو اشرف الانواع ، فاما قضاء الشهوة من الذكر فانه لا يفيد الا مجرد قضاء الشهوة فكان تشبها بالبهائم وخروجا عن الغريزة الانسانية فكان في غاية القبح « ٤ » هب ان الفاعل يلتذ بذلك العمل الا انه يبقى في ايجاب العار العظيم والعيب الكامل بالمفعول على وجه لا يزول ذلك العيب عنه ابد الدهر والعاقل لا يرضى لاجل لذة خسيسة منقضية في الحال ايجاب العيب الدائم الباقي بالغير « ٥ » انه عمل يوجب استحكام العداوة بين الفاعل والمفعول وربما يؤدي ذلك الى اقدام المفعول على قتل الفاعل لاجل انه ينفر طبعه عند رؤيته او على ايجاب انكائه بكل طريق يقدر عليه ، اما حصول هذا العمل بين الرجل والمرأة فانه يوجب استحكام الالفة والمودة وحصول المنافع الكبيرة كما قال تعالى ﴿خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾(١)

(١) سورة الروم آية ٢١

« ٦ » انه تعالى اودع فيّ الرحم قوه شديدة لجذب المني فاذا واقع الرجل المرأة قوي الجذب فلم يبق شيء من المني في المجاري الا وينفصل اما اما اذا واقع الرجل الرجل فلم يحصل في ذلك العضو المعين من المفعول قوه جاذبه المني وحينئذ لا يكمل الجذب فيبقى شيء من اجزاء المني في تلك المجاري ولا ينفصل ويعفن ويفسد ويتولد منه الاورام الشديدة والاسقام العظيمه وهذه فائدة لا يمكن معرفتها الا بالقوانين الطبيه .

﴿ قلت ﴾ إن الامراض الناتجة من عمل الفساد الزنا واللواط كليهما كثيرة جداً وقد الف الاطباء كتباً مطوله في تلك الامراض ولمشاهير الاطباء اقوال مشهوره في تحذير الناس من هذه الاعمال وترغيبهم في الاخذ بالعفه والطهارة وقد اشرنا الى شيء من هذه الامراض في مقالنا السابق ﴿ الغيرة على الاعراض ﴾ ونقتصر هنا على انفاذنا الآتية .

ذكر الاطباء ان الزنا مضاراً كثيرة اشدها الاصابة (١) بالداء الافرنجي وهو المسمى بالتهوبس او النسوبس سمي بالافرنجي لان اصابته جاء البلاد العربية مع الافرنج «٢» او السيلان (٣) او القرحه الاكاله (٤) او القرحة الرخوه (٥) او القمل العانى وغيره ، قالوا ويوجد امراض اخرى جلديه وباطنيه قد تعدى بسببه مثل الارصة والجرب وأمثالها والسل الرئوي ، وذكروا لكل من هذه الامراض اطواراً وادواراً وانها قتالة في الانسان مما هو اشد من الوباء والطاعون ، وان من ابتلي بشيء منها فهو مهدد بالموت او بالمرض الدائم الا من شاء الله نجاته ، وانها تؤثر في اطفال المصابين بل في بطونهم مما هو موجود في الكتب الخاصه بهذه الامراض ، وذكروا ان اللواط ينشأ عنه غير هذه الامراض وتزيد امراض اللائط في احداث جروح في الذكر

وفي الشرج ، قالوا واذا تضاعفت هذه الجروح ابعض الامراض تنشأ عنها فالا تجمد عقباه وتر تخي عضلات الشرج حتى قد يسهل نزول البراز وعند غير ارادة الانسان ، وربما كثرت مؤنته وفات حركته وضعف فاله فينعكس به الداء ويصبح ابوناً يدعو الرجال الى نفسه ، واختم مقالي هذا بكلمة الدكتور (هوفلاند) قال: (بين جميع الاسباب المقصرة للحياة لا اعلم ابلغ أثراً ولا اجمع للامور المنافية للحياة من الافراط في الملذات المحرمة ونحق لنا ان نعتبر هذه العادة خلاصة كل مقصرات الحياة ومجتمعها) .

اذا احاط الانسان العاقل خبراً بما فصلناه فانه ولا شك سيكون على بصيرة من هذين المرضين الاجتماعيين ويسعى جهد طاقته على ازالتهما من البلاد ويكون قدوة صالحة لمواطنيه في مكافحتهما وابادتهما وليس ذلك على ذوي الهمة ببعيد .

النفوس الانسانية .

النفوس الانسانية اربع : نفس شريفة . ونفس حقيرة ونفس عزيزة ونفس ضعيفة ولكل واحدة منها علامات تخصها وسمات تمتاز بها عن غيرها .

أما النفس الشريفة فهي التي تجد صاحبها في تحصيل ما يوصله الى درجة الكمال من علم نافع وادب صحيح يتحلى بحلية الفضائل ويتزين بزينة الاخلاق وكلما احتاز فضيلة او اخذ شيئاً من الكمالات طمح ببصره الى الامام ليتناول ما هو اعلى منها درجة واشرف منها مرتبة . وقد أتى ليلى النابغة من جهده على النبي (ص) فأنشده شعره الذي يقول فيه .

بلغنا السما في مجدنا وسنائنا   وانا لنبغي فوق ذلك مظهرا

فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : الى اين أبا ليلى ؟ قال : إلى الجنة ، فقال : ان شاء الله فلما انتهى الى قوله :

ولا خير في حلم اذا لم تكن له بوادر تحمي صفوه ان يكدرا

قال صلى الله عليه وآله وسلم . لا يفضض الله فاك فعاش مائة وثلاثين سنة ولم ينقص له ثنية .

وكان عمر بن عبدالعزيز والي المدينة من قبل سليمان بن عبدالملك فمدحه دكين بن رجاء الراجز فامر له بخمس عشرة ناقة كرائم فاستقلها ، فقال له عمر بن عبدالعزيز يا دكين إن لي نفساً تواقة فان أنا صرت الى اكثر مما انا فيه فسترى مني كل خير ، فلما صار اليه الامر وبويع بالخلافة دخل عليه دكين ومدحه فقال : ادن مني فدنا منـــه فقال . يا دكين أنا كما ذكرت لك إن لي نفساً تواقة وان نفسي تاقت الى اشرف منازل الدنيا وهي الخلافة فلما ادركتها وجدتها تتوق الى منازل الآخرة ثم وصـــله بالف درهم .

وأما النفس العزيزة فهي التي يقتحم صاحبها الاهوال ويستسهل الصعاب للحصول على غاية تقدمه على امثاله في الشرف وتفوقه على نظرائه في المجد قال امرؤ القيس :

ولو انني اسعى لادنى معيشة كفاني ولم اطلب قليلا من المال

ولكنني اسعى لمجـد مؤثل وقد يدرك المجد المؤثل امثالي

وقال الشماخ :

فتى ليس بالراضي بادنى معيشة ولا في بيوت الحي بالمتولج

فتى يملأ الشيزى ويروي سنانه ويضرب في رأس الكمي المدجج

وقال آخر .

دعني احد السعي في طلب العلى فابلغ سؤلي أو اموت فاعـــذرا

ولما نظر معاوية يوم صفين الى سواد عسكر امير المؤمنين عليه السلام يردف بعضه بعضاً قال : من طلب عظيما خاطر بعظيمته واشار الى رأسه ،

وقال يزيد بن عبدالملك بن مروان لما جيء اليه برأس يزيد بن المهلب فنال منه بعض جلسائه فقال إن يزيد ركب عظيما وطلب جسيما ومات كريماً .

اذا ما تمنى المرء إدراك غاية علية ناهال التقاعد والكسل

فلا تبلغ الغايات من دون همة ويحظى بها الانسان بالكد والعمل

(واما النفس الضعيفة) فهي التي يتطلب صاحبها المفخرة بالعب او بنسب يرى أن الشرف هو التزيي بزي الاشراف من غير أن يشاركهم في اعمالهم ، ويحسب أن المجد هو مزاحمة الامجاد وان لم يتأدب بآدابهم ، وهذه النفس تجمع من الاخلاق الذميمة بين الكذب وسوء الادب . .

نظر المطرف بن عبدالله بن الشخير الى المهلب بن ابى صفرة وعليه حلة يسحبها على الارض سحباً ويمشي الخيلاء فقال له : يا ابا عبدالله ما هذه المشية التي يبغضها الله ورسوله ؟ فقال المهلب : أما تعرفني من انا ؟ فقال : بلى والله اعرفك أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وحشوك بول وعذرة فتركه ومضى . . ووقف الاحنف بن قيس ومحمد بن الاشعث بباب معاوية فاذن للاحنف ثم لمحمد بن الاشعث فاسرع محمد في مشيته حتى تقدم الاحنف ودخل على معاوية قبله فلما رآه معاوية غمه ذلك واحفظه فالتفت اليه وقال : والله اني ما اذنت له قبلك وانا اريد أن يدخل قبله ، وإنا كما نلي اموركم كذلك نلي آدابكم ، ولا يريد متزيد في خطوه إلا لنقص

يجده من نفسه .. وقرأت في بعض الصحف انه عرض احد وزراء ملك اسبانيا على مولاه في جلسة مجلس الوزراء التوقيع على تعيين احد اصدقائه عضواً دائماً في مجلس الشيوخ لان الرجل شديد الطموح يميل شرف كهذا الشرف لدرجة انه يموت كمداً اذا لم يناله فاسر الملك الى الوزير قائلا لا بد من انقاذ صديقك من مخالب الموت ثم تناول امر التعيين وذيله بامضائه وكتب إنا عفونا عنه وعدلنا عن حكم الاعـــدام الصادر ضده بالنفي المؤبد في مجلس الشيوخ .

(وأما النفس الحقيرة) فهي التي صاحبها يميل على الشهوات ويقتحم موارد الطمع التي لا تعب فيها وهذه النفس تجمع الـكثير من الاخلاق الذميمة وصاحبها ضرر على المجتمع لا نفع فيه ، قال عبد الصمد بن المعذل يخاطب بعض الشعراء :

انت بين اثنتين تبرز للنا ... س وكلتاهما بوجه مذال

لست تنفك طالباً لوصال ... من حبيب او طالباً لنوال

اي ماء لحر وجهك يبقى ... بين ذل الهوى وذل السؤال

ويحكى ان حنظلة بن الشرقي المكنى بابي الطمحان مدح يزيد بن عبد الملك بن مروان بهذين البيتين .

يكاد الغمام الغر يرعد أن رأى ... محيا بن مروان ويهل بارقه

يظل فتيت المسك في رونق الضحى ... تسيل به اصداغــــه ومفارقه

فسأل عنه فقال بعض جلسائه هو صاحب الدير يا أمير المؤمنين ، قال يزيد : وما قصته ؟ قال : انه سئل عن ايسر ذنوبه فقال ليلة الدير ، فقيل له وما ذلك ؟ قال : نزلت بدير نصرانية ذات ليلة فاكلت عندها لحم خنزير

وشربت من خمرها وزنيت بها وسرقت كسائها وهنيت ، فضحك يزيد ابن عبدالملك ووصل أبا الطمحان بالفي درهم ، ودعا الاعور بن بنان التغلبي الاخطل الشاعر الى منزله فادخله بيتاً فدورش بانواع الفرش ووطىء بالوطىء العجب وله امرأة تسمى برة في غاية الحسن والجمال فقال له أبا مالك : إنك رجل تدخل على الملوك في مجالسهم فهل ترى في بيتي عيباً ؟ فقال له : ما أرى في بيتك عيباً غيرك ، فقال : إنما العجب من نفسي اذ كنت ادخل مثلك بيتي احرج عليك لعنه الله فخرج الاخطل وهو يقول :

وكيف يداويني الطبيب من الجوى وبرة عنـــد الاعور بن بنـان
ويلصق بطناً منتن الريح مجزأ الى بطن خود دائم الخفقان

هذا ماسنح لنا حول هذا الموضوع والتقسيم الذي ذكرناه هو حسب الطبائع المرتكزة في النفوس ، ويمكن وجود طبيعتين منها في بعض النفوس فتكون النفس شريفة وعزيزة في آن واحد ، أو تكون ضعيفة وحقيرة في آن واحد ، وربما تبدل بعض هذه الطبائع بضده بالتطبع والاكتساب وللمصاحبة والمجالسة الاثر التام في ذلك فان (الطبع مكتسب من كل مصحوب) .

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتـدي
اذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الاردى فتردى مع الردى

فالسعيد من كان من ذوي النفوس الشريفة العزيزة ولا ينال ذلك إلا ذو حظ عظـيم

خاتمة

نذكر فيها كلمات عينة في الاخلاق لأكتب كتابين تعصره عبدالله ابن المقفع .

دعوى العلم

استحى الحياء كله من أن تخبر صاحبك أنك عالم وانه جاهل مصرحا او معرضا ، وإن استطلت على الاكفاء ولا تثقن منهم بالصفاء فان آنست من نفسك فضلا فتحرج أن تذكره او تبديه ، واعلم ان ظهوره منك بذلك الوجه يقرر لك في قلوب الناس من العيب اكثر مما يقرر لك من الفضل ، واعلم انك إن صبرت ولم تعجل ظهر ذلك منك بالوجه الجميـــل المعروف ، ولا يخفين عليك ان حرص الرجل على اظهار ماعنده وقلة وقاره في ذلك باب البخل واللؤم ، وإن من خـــير الاعوان على ذلك السخاء والـكرم .

اصول الاخلاق

ياطالب الادب اعرف الاصول والفصول فان كثيراً من الناس يطلبون الفصول مع اضاعة الاصول ولا يكون دركهم دركا ، ومن احرز الاصول اكتفى بها عن الفصول ومن اصاب الفصل بعد احراز الاصل فهو افضل . فاصل الامر في الدين أن تعتقد الايمان على الصواب وتجتنب الـكبائر وتؤدي الفريضة ، فالزم ذلك لزوم من لاغناء به عنه طرفة عين ، ومن يعلم انه ان حرمه هلك ، ثم إن قدرت أن تجاوز ذلك

الى الثقة في الدين والعبادة فهو افضل واكمل ، واصل الامر في اصلاح الجسد ألا تحمل عليه من المآكل والمشارب إلا خفافا ، وإن قدرت أن تعلم جميع منافع الجسد ومضاره والانتفاع بذلك فهو افضل . واصل الامر في البأس ان لا تحدث نفسك بالادبار واصحابك مقبلون على عدوهم ثم إن قدرت أن تكون اول حامل وآخر منصرف من غير تضييع الحذر فهو افضل . واصل الامر في الجود ألا تضن بالحقوق على اهلها ، ثم إن قدرت أن تزيد ذا الحق على حقه وتطول على من لا حق له فافعل فهو افضل ، واصل الامر في الكلام أن تسلم من السقط بالتحفظ ، ثم إن قدرت على بارع الصواب فهو افضل ، واصل الامر في المعيشة ألا تني عن طلب الحلال وأن تحسن التقدير لما تفيد وما تنفق ، ولا يغرنك من ذلك سعة تكون فيها فان اعظم الناس في الدنيا خطراً احوجهم الى التقدير . والملوك لاقوام لهم إلا بالمال ، ثم إن قدرت على الرفق واللطف في الطلب والعلم بالمطالب فهو افضل .

شرف المروءة

لا يعجبنك إكرام من يكرمك لمنزلة أو سلطان فان السلطان اوشك امور الدنيا زوالا ، ولا يعجبنك إكرامهم إياك للنسب فان الانساب اقل مناقب الخير غناء عن اهلها في الدين والدنيا ، ولكن اذا اكرمت على دين أو مروءة فذلك فليعجبك فان المروءة لا تزايلك في الدنيا الدين ولا تزايلك في الآخرة .

سياسة الاقتصاد

إعلم ان رأيك لا يتسع لكل شيء ففرغه للمهم وان مالك لا يغني الناس كلهم فاختص به ذوي الحقوق ، وان كرامتك لا تطيق العامة فتوخ بها اهل الفضائل ، وان ليلك ونهارك لا يستوعبان حاجاتك وان دأبت فيها وانه ليس لك الى ادائها سبيل مع حاجة جسدك الى نصيبه منهما فاحسن قسمتها بين دعتك وعملك ، واعلم انك ماشغلت من رأيك بغير المهم ازرى بالمهم وما صرفت من مالك بالباطل فقدته حين تريده للحق ، وما عدلت به من كرامتك الى اهل النقص اضر بك في العجز عن أهل الفضل ، وما شغلت من ليلك ونهارك في غير الحاجة ازرى بك في الحاجة .

الشورى

لا يقذفن في روعك انك إن استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة الى غيرك فانك لست تريد الرأي للافتخار به ولكن تريده للانتفاع ، ولو انك مع ذلك اردت الذكر كان احسن الذكرين وافضلها عند اهل الفضل أن يقال لا ينفرد برأيه دون استشارة ذوي الرأي .

رضى الناس

إنك إن تلتمس رضاء جميع الناس تلتمس مالا يدرك وكيف يتفق لك رأي المختلفين، وما حاجتك الى رضاء من رضاه الجور والى موافقة من موافقته الضلالة والجهالة فعليك برضاء الاخيار منهم وذوي العقل فانك متى تصب ذلك تضع عنك مؤنة ماسواه .

الصداقة

ابذل لصديقك دمك ومالك ولمعرفتك رفدك ومحضرك ، وللعامة بشرك وتحننك ، ولعدوك عدلك واضنن بدينك وعرضك عن كل احد

الصبر

ذلل نفسك بالصبر على جار السوء وجليس السوء فان ذلك مما لا يكاد يخطئك فان الصبر صبران صبر الرجل على ما يكره وصبره عما يحب ، فالصبر على المكروه اكثرهما واشبههما ان يكون صاحبه مضطراً ، واعلم ان اللئام اصبر اجساداً والكرام اصبر نفوساً ، وليس الصبر الممدوح أن يكون جلد الرجل وقاحاً او رجله قوية على المشي أو يده قوية على العمل ، فانما هذا من صفات الحمير ، ولكن أن تكون للنفس غلوباً وللامور محتملاً وفي الضر متجملاً ولنفسه عند الرأي والحفاظ مرتبطاً وللحزم مؤثراً وللهوى تاركاً وللمشقة التي يرجو عاقبتها مستخفاً وعلى مجاهدة الاهواء والشهوات مواظباً

سكر الرضى والغضب

اعلم ان من الناس ناساً كثيراً يبلغ من احدهم الغضب اذا غضب أن يحمله ذلك على الكلوح والتقطيب في وجه غير من اغضبه وسوء اللفظ لمن لا ذنب له والعقوبة لمن لم يكن يهم بعقوبته وسوء المعاقبة باليد واللسان لمن لم يكن يريد به الا دون ذلك ، ثم يبلغ به الرضا اذا رضي ان يتبرع بالامر ذي الخطر لمن ليس بمنزلة ذلك عنده ويعطي من لم يكن يعطيه

ويكرم من لا حق له ولا مودة ، فاحذر هذا الباب كله فانه ليس احد اسوأ حالاً من اهل القدرة الذين يفرطون باقتدارهم في غضبهم وسرعة رضاهم فانه لو وصف بصفة من يتلبس بعقله او يتخبطه المس من يغالب في غضبه غير من اعتمده ويحبو عند رضاه غير من ارضاه لكان جائزاً في صفته

الاحتمال

اعلم انك ستبتلى من اقوام بسفه وان سفه السفيه سيطلع لك منه فان عارضته او كافأته بالسفه فكأنك قد رضيت ما أتى به ، فاجتنب أن تحتذي مثاله فان كان عندك مذموماً فحقق ذمك اياه بترك معارضته فاما ان تذمه وتمتثله فليس ذلك لك

الرفعة والتواضع

ان استطعت أن تنزل نفسك دون غايتك في كل مجلس ومقام ومقال ورأي وفعل فافعل فان رفع الناس اياك فوق المنزلة التي تحط اليها نفسك وتقريبهم اياك في المجلس الذي تباعدت عنه وتعظيمهم من امرك ما لم تعظم وتزيينهم من كلامك ورأيك ما لم تزين هو الجمال

الحسد

ليكون مما تصرف به الاذى والعذاب عن نفسك ألا تكون حسوداً فان الحسد خلق لئيم ومن لؤمه أن يوكل بالادنى فالادنى من الاقارب والاكفاء الخلطاء فليكن ما تقابل به الحسد ان تعلم ان خير ما تكون حين تكون مع من هو خير منك وان غنماً لك ان يكون عشيرك وخليطك افضل منك في العلم فتقتبس من علمه وافضل منك في القوة فيدفع عنك بقوته وافضل

منك في المال فيستفيد من ماله ، وافضل منك في الجاه فتصيب حاجاتك بجاهه ، وافضل منك في الدين فتزداد صلاحا بصلاحه

الصدق

ليعرف اخوانك والعامة انك ان استطعت أن تكون الى ان تفعل مالا تقول اقرب منك الى أن تقول مالا تفعل فعلت فان فضل القول على الفعل عار وهجنة ، وفضل الفعل على القول جمال وزينة

فضول النظر

اعلم ان من اوقع الامور في الدين وانهكها للجسد واتلفها للمال واضرها بالعقل واسرعها في ذهاب الجلالة والوقار الغرام بالنساء ، ومن البلاء على المغرم بهن انه لا ينفك يأجم ما عنده ، وتطمح عيناه الى ما ليس عنده منهن ، وإنما النساء اشباه ما يرى في العيون والقلوب من فضل مجهولاتهن على معروفاتهن باطل وخدعة بل كثير مما يرغب عنه الراغب مما عنده افضل مما تتوق اليه نفسه ، وانما المرتغب عما في رحله منهن الى ما في رحال الناس كالمرتغب عن طعام بيته الى ما في بيوت الناس ، بل النساء بالنساء اشبه من الطعام بالطعام وما في رحال الناس من الاطعمة اشد تفاضلا وتفاوتا مما في رحالهم من النساء ، ومن العجب ان الرجل الذي لا بأس بلبه يرى المرأة من بعيد متلففة في ثيابها فيصور لها في قلبه الحسن والجمال حتى تعلق بها نفسه من غير رؤية ولا خبر مخبر ثم لعله يهجم منها على اقبح القبح وادم الدمامة فلا يعظه ذلك عن امثالها ولا يزال مشغوفا بما لم يذق حتى

لو لم يبق في الارض غير امرأة واحدة لظن ان لها شأناً غير شأن ماذاق
وهذا هو الحمق والشقاء

الثقة بالاصدقاء

إن رأيت صاحبك مع عدوك فلا يغضبنك ذلك فانما هو احد رجلين
ان كان رجلا من اخوان الثقة فانفع مواطنه لك اقربها من عدوك اشر
يكفه عنك وعورة يسترها منك وغائبة يطلع عليها لك ، فاما صديقك فما
اغناك ان يحضره ذوو ثقتك وان كان رجلا من غير خاصة اخوانك
فبأي حق تقطعه عن الناس وتكلفه ان لا يصاحب ولا يجالس إلا من تهوى

غرائز الناس

اذا اقبل اليك مقبل بوده فسرك ان لا يدبر عنك فلا تنعم الاقبال
عليه والتفتح له فان الانسان طبع على غرائز اؤم فمن شأنه أن يرحل عمن
لصق به ويلصق بمن رحل عنه

آفة الفقر

اذا افتقر الرجل اتهمه من كان له مؤتمناً واساء به الظن من كان
يظن به حسناً ، فاذا اذنب غيره ظنوه وكان التهمة وسوء الظن موضعاً ،
وليس من خلة هي للغني مدح الا وهي للفقير عيب فان كان شجاعا سمي
اهوج وان كان جوادا سمي مفسدا وان كان حليما سمي ضعيفا وان كان
وقوراً سمي بليدا وان كان لسناً سمي مهذارا وان كان صموتا سمي عيياً

المودة

المودة بين الاخيار سريع اتصالها بطيء انقطاعها ومثل ذلك كوب الذهب الذي هو بطيء الانكسار هين الاصلاح ، والمودة بين الاشرار سريع انقطاعها بطيء اتصالها كالكوز من الفخار يكسره ادنى عبث ثم لا وصل له ابداً ، والكريم يمنح مودته عن لقية واحدة او معرفة يوم ؛ والائيم لا يصل احداً إلا عن رغبة او رهبة .

الحقد

مثل الحقد في القلب اذا لم يجد محركاً مثل الجمر المكنون اذا لم يجد حطبا فليس ينفك الحقد متطلعا الى العلل كما تبتغي النار الحطب فاذا وجد علة استعر فلا يطفئه حسن كلام ولا لين ولا رفق ولا خضوع ولا تضرع ولا مصانعة ولا شيء دون تلف الانفس وذهاب الارواح .

الحزم

الرجل ثلاثة : حازم ، واحزم منه ، وعاجز ، فالحازم من اذا نزل به الامر لم يدهش له ولم يذهب قلبه شعاعا ولم يعي به حيلته ومكيدته التي يرجو بها المخرج منه ، واحزم من هذا المقدام ذو العدة الذي يعرف الابتلاء قبل وقوعه فيعظمه اعظاما ويحتال له حيلة حتى كأنه قد لزمه فيحسم الداء قبل أن يبتلي به ويدفع الامر قبل وقوعه ، واما العاجز فهو في تردد وتمن وتوان حتى يهلك .

المودة الصافية

إن اهل الدنيا يتعاطون فيما بينهم امرين ويتواصلون عليهما وهما ذات النفس وذات اليد ، فالمتبادلون ذات النفس هم الاصفياء واما المتبادلون ذات اليد فهم المتعاونون الذين يلتمس بعضهم الانتفاع ببعض ، ومن كان يصنع المعروف ببعض منافع الدنيا فانما مثله فيما يبذل ويعطي كمثل الصياد والقائه الحب للطير لا يريد بذلك نفع الطير وإنما يريد نفع نفسه

الدب الحديث

لا تخلطن بالجد هزلا ولا بالهزل جداً فانك إن خلطت بالجد هزلا هجنته ، وان خلطت بالهزل جداً كدرته ، غير اني قد عرفت موطنا واحدا ان قدرت ان تستعمل فيه الجد بالهزل اصبت الرأي وظهرت على الاقران وذلك ان يتوردك متورد بالسفه والغضب فتجيبه اجابة الهازل الداعب برحب من الذراع وطلاقة من الوجه وثبات من المنطق

الهوى

اذا دهمك امران لا تدري ايهما اصوب فانظر ايهما اقرب الى هواك فخالفه فان اكثر الصواب في خلاف الهوى .

الكمال الانساني

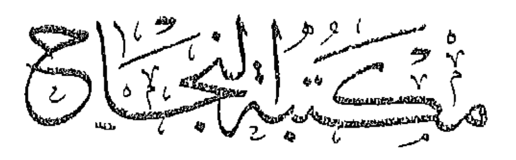
اني مخبرك عن صاحب كان اعظم الناس في عيني ، وكان رأس ما اعظمه عندي صغر الدنيا في عينه ، كان خارجا من سلطان بطنه فلا يشتهي مالا

يجد ولا يكثر اذا وجد، وكان خارجاً من سلطان فرجه فلا تدعو اليه مؤونة ولا يستخف له رأياً ولا بدناً ، وكان خارجاً من سلطان الجهالة فلا يقدم الا على ثقة او منفعة ، وكان اكثر دهره صامتاً فاذا قال بذ القائلين وكان يرى متواضعاً مستضعفاً ، فاذا جاء الجد فهو الليث عادياً ، وكان لا يدخل في دعوى ولا يشترك في مراء ولا يدلي بحجة حتى يجد قاضياً فهماً وشهوداً عدولاً ، وكان لا يلوم احداً على ما قد يكون العذر في مثله حتى يعلم ما اعتذاره ، وكان لا يشكو وجعاً الا الى من يرجو عنده البرء ولا يصحب الا من يرجو عنده النصيحة ، وكان لا يتبرم ولا يتسخط ولا يتشهى ولا يتشكى ولا ينتقم من الولي ولا يغفل عن العدو ولا يخص نفسه دون اخوانه بشيء من اهتمامه وحيلته وقوته فعليك بهذه الاخلاق ان اطقت ولن تطيق ولكن اخذ القليل خير من ترك الجميع .

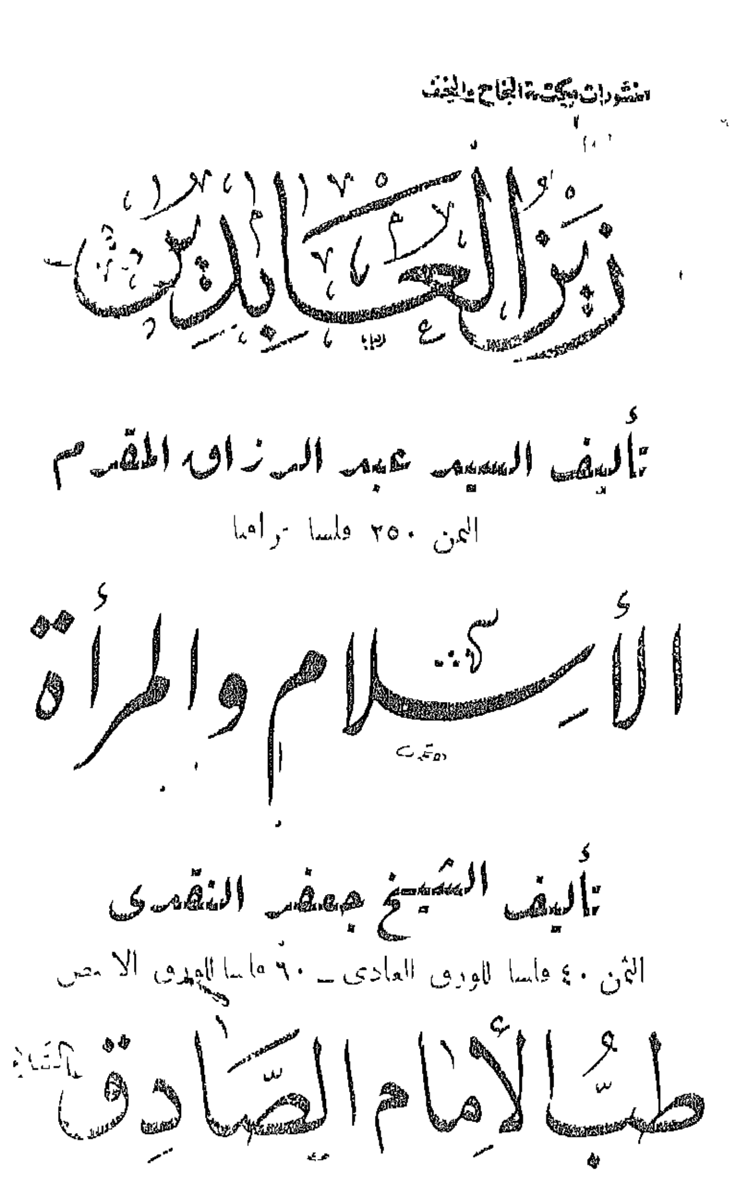
الأقسام .

إنما يحمل الرجل على الحلف احدى هذه الخلال اما مهانة يجدها في نفسه وضرع وحاجة الى تصديق الناس اياه ، واما عي بالكلام حتى يجعل الايمان له حشواً ووصلاً ، واما تهمة قد عرفها من الناس لحديثه فهو ينزل نفسه منزل من لا يقبل منه قول الا بعد جهد اليمين ، واما عبث في القول او ارسال اللسان على غير روية ولا تقدير ، الى هنا فاختتم دروسنا الاخلاقية حامدين لله ومصلين على خير البرية والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد المختار وآله الاطهار . .

فهرست مواضيع الكتاب

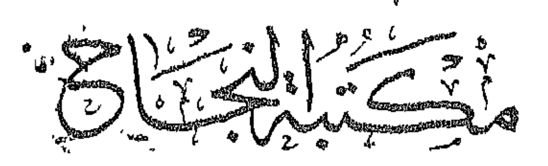


مكتبة النجاح



منشورات مكتبة النجاح في النجف
زين العابدين
تأليف السيد عبد الرزاق المقرم
الثمن ٢٥٠ فلسا عراقيا
الاسلام والمرأة
تأليف الشيخ جعفر النقدي
الثمن ٤٠ فلسا للورق العادي ـ ٦٠ فلسا للورق الابيض
طب الامام الصادق
تأليف محمد الخليلي
الثمن ٦٠ فلسا عراقيا

منشورات :



النجف الاشرف ـ العراق

١ ـــ زين العابدين
٢ ـــ الاسلام والمرأة
٣ ـــ طب الامام الصادق
٤ ـــ النفس في نظر فيلسوف الشرق
٥ ـــ الدروس الاخلاقية .

توزع مطبوعاتنا كافة بواسطة

وكالة ...

فرج الله للمطبوعات : بغداد ـ شارع الرشيد ـ تلفون ٤٢٧٧٣

الثمن ٦٠ فلساً عراقياً او ما يعادلها

مطبعة النجف

الدروس الاخلاقية

DATE	NO	DATE	NO